مكتبة المحبة

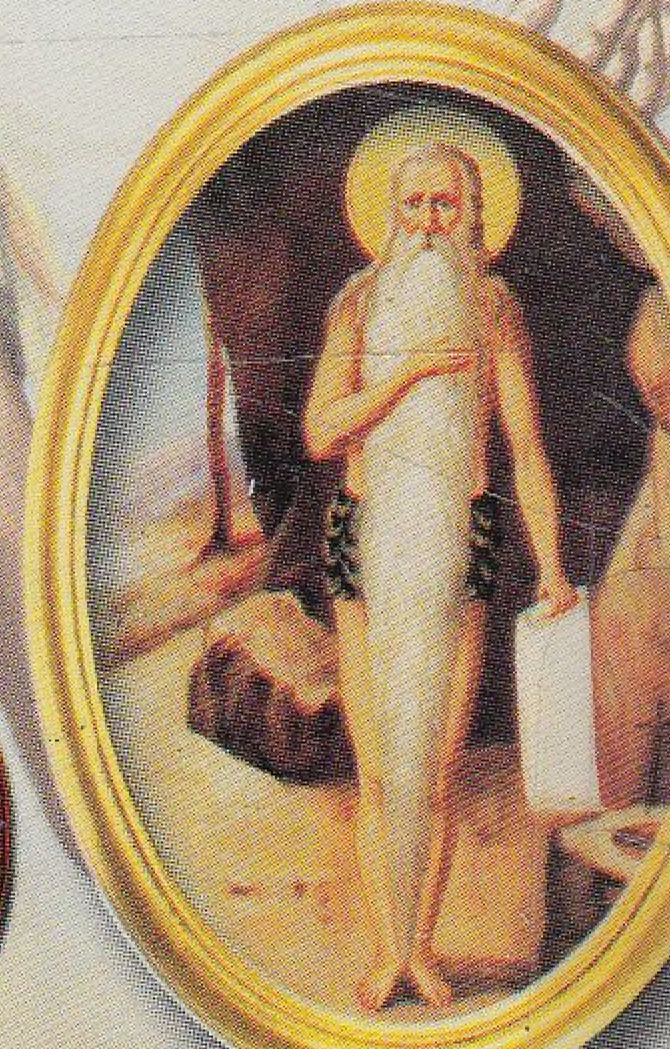
الموسوعة القبطية الشاملة (١٤)
بإشراف نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر



رسالة إلى كل الخدام والشعب:

موسوعة الآباء السُوَّاح

(ANACHORITES, HERMITS & RECLUSES)





تضم (٦٥) شخصية
من أشهر القديسين السُواح
للتأمل والبحث،
وإعطاء الدرس لكل نفس

ترجمة وإعداد
دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

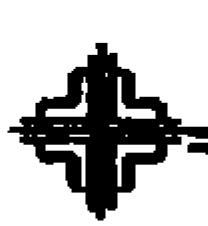
مكتبة المحبة
الموسوعة القبطية الشاملة (١٤)
بإشراف نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

رسالة إلي كل الخدام والشعب:

موسوعة الآباء السواح

(Anachorites, Hermits & Recluses)

- تضم (٦٥) شخصية من أشهر القديسين السواح
- للتأمل والبحث، وإعطاء الدرس لكل نفس

ترجمة وإعداد

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

٢١٩ / ٥

إسم الكتاب : موسوعة الآباء السواح
ترجمة وإعداد : دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر
الناشر : مكتبة المحبة
الطبعة : الأولى
الكمبيوتر ريمونتيكو للكمبيوتر ت : ٥٦٢١٧٦٢
المطبعة : شركة هارموني للطباعة ت: ٦١٠٠٤٦٤
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٥/٥٥٢٥
الترقيم الدولى 977-12-0796-2



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكاتب

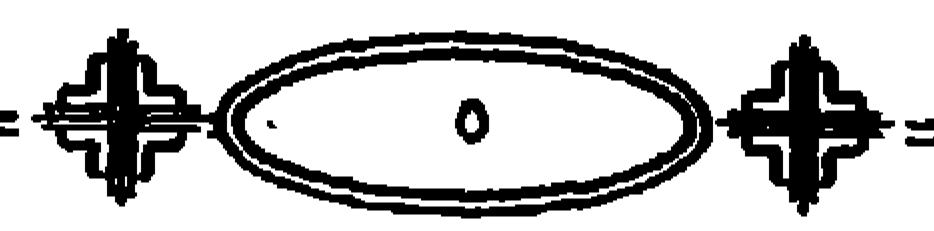
في هذا الكتاب نحشد أكبر مجموعة من مشاهير القديسين من كبار الآباء السواح، والتي بلغت شخصياتهم – في هذه الموسوعة (٦٥) شخصية عظيمة. امتازت كل واحدة منها بفضائل وصفات روحية جميلة، وتصلح للدارسين، وللباحثين وللخُدَّام، ولكل فئات الشعب، كطلب القديس الرسول بولس: «أذكروا مرشديكم، الذين كلمّوكم بكلمة الله، **أُنظروا إلي نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم**» (عب ١٣:٧).

ونطلب من الرب – بشفاعات أم النور، وبصلوات قداسة **البابا شنودة الثالث**، وكل الآباء الأحبار الأجلاَّء، أن تكون سبب بركة لكل أفراد الأسرة، ولكل الراغبين في التأمُّل بهدوء في تلك السير العطرة، برّكة صلواتهم وشفاعتهم جميعاً تكون معنا، آمين.

دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر

الجيزة في ٢٠٠٣/٩/١٢

(عيد النيروز)

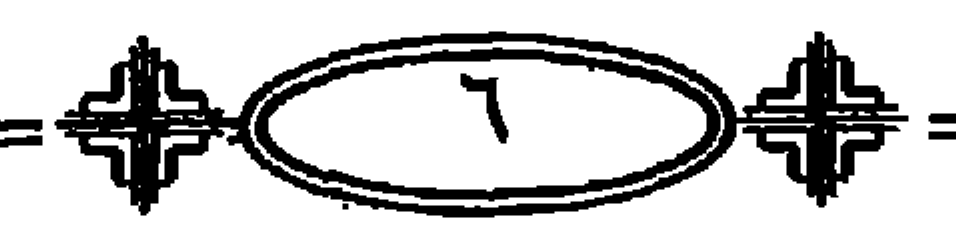


مقدمة عامة:

+ بدأت الرهبنة المسيحية – في مصر – بالتجاء بعض المتوحدين (monks) إلي الصحاري والجبال ليقضوا كل حياتهم مع الله – في خُلوَة وعبادة دائمة، لمحبتهم للرب يسوع من كل القلب وكل الوقت، وكما نادي به له المجد بقوله: «يوجد خصيان، خصوا أنفسهم (عاشوا في بتولية) **لأجل ملكوت السموات**» (مت ١٩: ١٠ ـ ١٢).

+ وقد عاش القديس بولس الرسول بتولاً. وقال رداً علي تساؤلات شعب كنيسة كورنثوس: «أقول لغير المتزوجين: **أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا**» (١ كو ٧:٨).

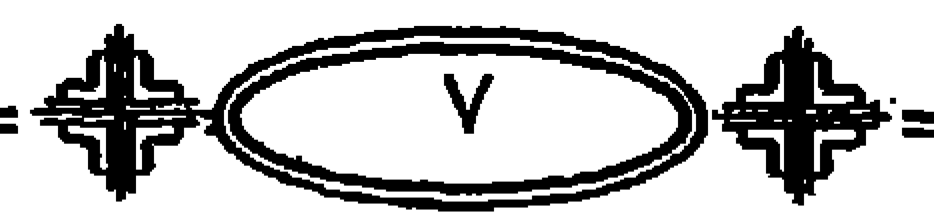
+ كما قال أيضاً: «من زَوَّج فحسناً يفعل، **ومن لا يزوِّج يفعل أحسن**» (١ كو ٧:٣٨).



+ وقد قلدُّوا الفادي في كونه عاش فقيراً، ولم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨: ٢٠)، وقال له المجد: «من ترك بيوتاً ... من أجل أسمي، يأخذ مائة ضعف (بركات روحية عظيمة) ويرث الحياة الأبدية» (مت ١٩: ٢٩).

+ وقال القديس بولس الرسول: «كفقراء (مادياً) ونحن نُغني كثيرين (بكلمات النعمة الموهوبة من الروح القدس) كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء» (٢ كو ٦: ١٠) أي غنيِّ النعمة.

+ وقد بدأت الرهبنة بنظام العُزلة والانفراد للعبادة، كما حدث للقديس أنبا أنطونيوس (٢٥١ - ٣٥٦م)، ثم سرت روح الرهبنة في كثير من الأقباط فاجتمعت جماعات منهم تحت إرشاد أحد النساك المُتعمقين في حياة الرهبنة، مثل جماعة أنبا أنطونيوس، وأنبا آمون، وأنبا مكاريوس الكبير (المصري) وأنبا



مكاريوس الاسكندري ثم أنبا شنوده رئيس المتوحدين وأنبا باخوميوس، أب الشركة.

+ ولما نما البعض في النعمة تركوا نظام الشركة – في داخل الأديرة – ومضوا وحدهم ليعيشوا في أماكن بعيدة،في الصحاري والجبال،وسُمُّوا «بالسوّاح».

+ وكان تدبير الله أن يرسل لهم من يزورهم ليتعرّف عليهم ويأخذ بركتهم، ويكتب لنا سيرتهم، وإن كان كثير من السواح والنُسَّاك (Anachorites, Hermits) لم نعرف عنهم شيئاً، ولكن أسماءَهم قد سُجِلتَ في سفر الحياة الأبدية.

+ ويقول قداسة البابا شنودة الثالث: «السائح يمثل حياة إنسان مات تماماً عن العالم، لكي يحيا مع الله، والله فيه. ترك كل مُتع الدنيا (الفانية) ليصير الله هو مُتعته الوحيدة».

+ ويُضيف قداسته بأن «السُوَّاح هم بشر مثلنا، يأكلون



ويشربون، وقد يمرضون، ويشعرون بألم وأوجاع الجسد (سواء من ظروف الطبيعة القاسية، أو من حروب الشياطين)[1] وقد مرّت عليهم عشرات السنوات، دون أن يروا وجه أنسان، وبعضهم كان تائهاً في البراري، لا يعرف أين هو».

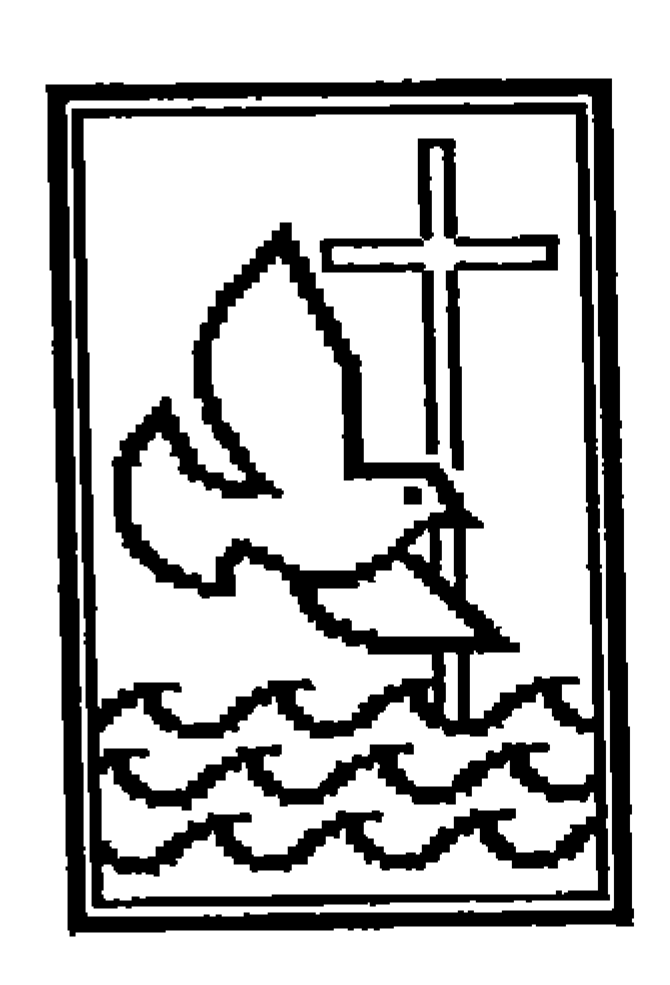
+ وقد قطع آباء مسافات طويلة جداً في الصحراء الكبري، أو في سيناء إلي أن وصلوا اليهم في مكان سكناهم ، في البرية الجوانية، في مناطق منخفضة (كالواحات) بها ماء، كما اقتاتوا بالأعشاب البرّية، أو كان الله يرسل لهم الملائكة بطعامهم الجسدي والروحي (التناول من السر الأقدس) كما سنراه من خلال سرد سيرهم.

+ وقد حفظ اللّه السواح، ودبّر حياتهم ورعاهم من الجوع والعطش والحشرات والوحوش. كما كان

(١) يقول الحكيم يشوع بن سيراخ: «يا إبني إذا بدأت خدمة ربك، فاستعد لجميع التجارب» (سي ٢:١).

يحفظ ثيابهم من البلي سنوات طويلة. أو يتغطون بثوب من الليف مثل أنبا بولا، أو يسمح الله بنمو شعرهم، فيغطي كل جسدهم، أو يستخدمون أغطية من جلود الحيوانات التي تموت في البراري. وقد غطي القديس أنبا بچيمي جسده بورق الشجر، لا غير!!

+ وقد نزل بعض السواح للخدمة وسط الرهبان والشعب مثل القديس أنطونيوس والقديس أنبا هدرا الأسواني، الذي تم إخراجه من حبسه ورسامته أسقفاً لأسوان في بداية القرن الخامس.





(١) القديس الأنبا بولا (Paulé) أول السوّاح

• حياته الأولي:

+ يذكر القديس إيرونيموس (چيروم) أنه كان أول السوّاح الأقباط. وقد وُلِد سنة ٢٢٨م، وقد عاش في أيام الاضطهادات في عهدَي الامبراطورين الرومانيين الوثنيين ديسيوس وڤاليريان (٢٤٩ - ٢٦٠م).

+ وكان قد تعلّم العلوم المصرية واليونانية السائدة في عصره. وكان متواضعاً ومحباً للرب بشدة، كما رباه والده علي مخافة الله، قبل رحيله للعالم الآخر.

+ ولما ثار الاضطهاد الشديد، اختفي في منزل في وسط مزارعه، ولكن الطمع غلب علي قلب زوج أخته (الوثني) بشدة، فلم يُرد أن يظل قريبه مختفياً عن أعين المضطهدين، بل أراد أن يُسلّمه لهم، ولم يرحم دموع أخته، ولا أنتقام الله الشديد له، بعد محاولته اغتصاب نصيبه في ميراث والديه.

+ ويذكر تقليد قبطي قديم أن القديس بولا الشاب عرض

علي زوج أخته أن يمضيا معاً إلي شيخ القرية، ليحكم بينهما بالعدل في ميراث أبويه، وأنه بينما كانا في الطريق إليه، شاهدا ميتاً غنياً، يحمله أهله إلي قبره، فتأثر القديس الشاب بما رآه، وحدّث نفسه بأن هذا الغني لم يأخذ شيئاً من أمواله معه في قبره (ويقول المَثَل الأسباني: «إن الكفن ليس له جيوب») فهرب من قريبه، تاركاً له كل ميراثه. وورث هو ملكوت السموات، ذلك الميراث الذي لا يفني ولا يتدنس ولا يضمحل، المحفوظ له في الملكوت السعيد (١ بط ١:٤).

+ وقيل أيضاً إنه تأثر بما سمعه من المشيعين للميت من أنه ترك مالاً وفيراً. «ماذا يستفيد الانسان حتي ولو ربح العالم كله وخسر نفسه» (لو ٩:٢٥).

+ وسار القديس علي قدميه، حتي وجد قبراً في غرب المدينة، وأقام به ثلاثة أيام، مُصلياً إلي الله ليرشده لما يُرضيه. فأرسل له الرب ملاكاً، نقله إلي مكان مناسب في الصحراء الشرقية.

+ ويروي چيروم أنه هرب سراً الي جبل مرتفع، ليبتعد

عن أيدي المُضطهِدين، وهناك وجد مغارة مغلقة بحجر، فلما رفعه وجدها صالحة للسُكني، لاسيما وأنه كان بجوارها عين ماء حلوة، كما كانت نظيفة (وقد قيل إنها كانت مقراً لبعض اللصوص، الذين كانوا يُزّيفون النقود - منذ عهد الملكة كيليوبترا، وأنهم هجروها منذ زمن طويل).

+ فأحبَّ هذا المكان، وأقام فيه مع الله - في تسابيح وصلوات - عشرات السنوات، بعيداً من متاعب الأشرار، ومشاكل المال والأهل المعاندين.

+ ويضيف القديس چيروم بأن كل طعامه وكسائه كان من نخيل ينمو بالجبل، وأنه عاش حياة ملائكية علي الأرض حتي بلغ عمره ١٣٠ سنة. وكان القديس أنبا أنطونيوس - الذي بلغ التسعين من عمره - في ذلك الوقت[١] - يُقيم في برية أخري.

• اللقاء المبارك:

+ ويقول القديس چيروم إنه «روي لنا تلاميذ الأنبا

(١) أي عام ٣٤١ م.



أنطونيوس، الذين دفنوه بعد نياخته (٣٥٦ م) سيرة الأنبا بولاً، نقلاً عن لسانه، فقد قال لهم ما يلي:

* «إنني ذات مـرة، فكرّت إنني أول من سكن البـرية (كراهب متوحد)، وفي الليلة التي كنت أفكر فيها - في هذه الأمور - كشف لي الرب عن شخص (ملاك) قال لي «إن وراءك (في البرية) يوجد إنسان يفوقك في الروحـانية، ويـجب عليك أن تراه، وستـفـرح بلقائه»!!

+ ثم أستمر القديس چيروم في روايته - نقلاً عن رهبان أنبا أنطونيوس - بأنه لما طلع النهار، أخذ القديس عصاه - التي كانت من جريد النخيل - وسار في الصحراء (الشرقية) حسب ما كان يوجهه الله، لأنه لم يكن يعرف الطريق إليه.

+ وظل سائراً علي قدميه حتي أنتصف النهار بحرارته الشـديدة، وخـاطب ذاته وقـال «أنا أُؤمِن أن الله لن

يتخلّي عني، وسوف يُريني خادمه الأمين، الذي أعلن لي – في الرؤيا – عنه».

+ وظهر له الشيطان في صورة حيوان نصفه إنسان والنصف الآخر حيوان، وهو الذي يسميه الوثنيون السنتاور (centaur) ، فسأله القديس عن مكان رجل الله، فتمتم هذا المخلوق بكلمات غير مفهومه، ثم هرب من أمامه في خوف!!.

+ وسار القديس في طريقه بالجبل، بعدما أدرك أن هذا الحيوان ليس سوي الشيطان، الذي أخذ هذه الصورة، ليُخيف رجل الله، وكان العكس تماماً!!

+ وبعدما سار مسافة أخري رأي حيواناً آخر مشابه للأول، وإن كان أقصر قامة منه، وكان واقفاً علي صخرة، وله قرنان علي رأسه وعلي جبهته.

+ فاضطر عدو الخير أن يكشف عن ذاته وخداعه، وقال للقديس أنطونيوس إن الوثنيين كانوا يعبدونه كإله في

الاسكندرية. فقرع القديس بعصاه علي الأرض وقال: «الويل للإسكندرية - المدينة الوثنية - التي اجتمع بها الشياطين من كل نوع» (في معابد الأوثان).

+ ورأي القديس أنطونيوس آثار أقدام حيوان فسار عليها. وكان يقول لنفسه بكل إيمان: «إن الرب لن يخذلني. ثم سار طول الليل، وكان يصلي بفمه، إلي أن طلع الفجر، وبدأ النهار في إضاءة الجبل، فرأي ضبعاً ضخماً يجري بسرعة، ويصعد إلي قمة الجبل، فتتبعه القديس، بإرشاد الله.

+ فلما صعد القديس إلي هناك، اقترب من مغارة، ورأي الضبع يدخل إليها. واقترب القديس منها فوجدها منيرة جداً بالداخل، وقرع علي بابها بحجر صغير!!

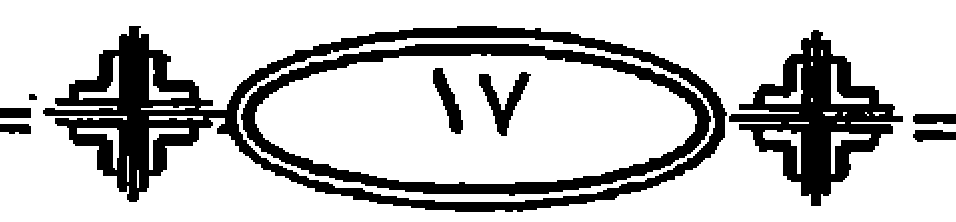
+ فلما سمع القديس بولا القَرَعات، أسرع وأنزل الحجر علي مدخل المغارة.وتوسل إليه القديس أنطونيوس، ليدعه يدخل إليه. وقال له:«أنا وحدي».

+ فقال له القديس بولا: «لماذا جئت؟!» فقال له الأنبا أنطونيوس: «أنا لست مُستحقاً أن أراك، ولكن إن كنت تستقبل الوحوش، فلماذا لا تقبل إبن إنسان؟!».

+ ثم أضاف القديس قائلاً: «وقد بحثت عنك وعثرت عليك، وها قد قرعت علي بابك بثقة، فافتح لي الباب... وإن لم تسمح لي بالدخول، سأموت هنا... وعندما تري جسدي، قُم بدفنه»!!

+ حينئذ فتح له الأنبا بولا، وقبّله بفرح، ثم أعلن كل منهما إسمه للآخر. وجلسا معاً. فقال القديس بولا مُتسائلاً: «لماذا تعبت وسافرت وجدّيت في البحث عن شيخ ذبُل جسده؟! وبعد قليل ستري أن جسدي صار تراباً، ولكن الحب يغلب كل الصعاب» (وهو درس هام لكل نفس).

+ ثم قال له الأنبا بولا مُتسائلاً: «أخبرّني عن أحوال



العالم؟ وهل لا يزالون يخضعون لآراء الشياطين (العبادة الوثنية) الفاسدة؟!».

+ وبينما كان القديس أنطونيوس يُحدِّثه، شاهدا معاً غراباً، وقد جاء يحمل بمنقاره رغيفاً كاملاً، ألقاه أمامهما ثم طار، وهما ينظران ويتعجبان!!

+ فقال له القديس بولا: "إن الرب حنون وعطوف، فقد أرسل لنا أكلتنا بهذه الطريقة، **لأنه منذ ٦٠ سنة كاملة**، كان الرب معتاداً أن يرسل لي – عن طريق هذا الطائر (الغراب) يومياً، **نصف** رغيف خبز، ولكن عند حضورك عندي، أرسل لنا الرب ضِعْف هذا المقدار (رغيفاً كاملاً) لأننا من خُدّامه».

+ ثم قاما وصليا وشكرا الله علي عطاياه، وجلسا ليأكلا، وتناقشا معاً في من يبدأ بكسر رغيف الخبز... ثم مدَّا أيديهما معاً وكسرا الرغيف – باسم الرب – وأكلاه بفرح، ثم ظلا يصليان طول الليل.

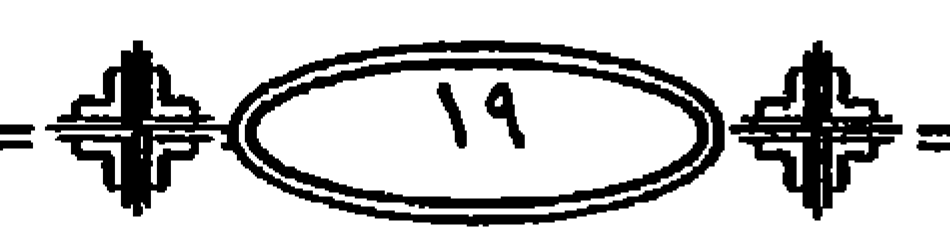
+ ولما حل صباح اليوم التالي، قال القديس الانبا بولا، للقديس أنطونيوس: «أنت تعرف - يا أخي - أنني عشت في البرية وقتاً طويلاً، وأن الرب هو الذي كشف لي عن حياتك وعن مجيئك إليَّ، لأن وقت راحتي قد أقترب، لكي أرحل إلي الرب. ولن أراك فيما بعد».

+ ثم أضاف القديس بولا قائلاً: «ونظراً لأن عُمري قد أنتهي عند هذا الحد، فإنني أعتقد أن الرب سوف يعطيني إكليل المجد» (كما أعلنه القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس)(١). فإن الرب قد أرسلك إليَّ (في الوقت المناسب) لتواري جسدي في التراب».

+ وبكي القديس أنطونيوس. ثم قال للقديس بولا متوسلاً: «يا حبيبي، لا تتركني هنا وحدي، بل خذني معك، حيثما تذهب».

+ فقال له القديس بولا: «بل من الأفضل (الآن) أن

(١) «٢ تي٤:٨».



تبحث عن خلاص نفسك، وخلاص جيرانك (رهبانك) أيضاً».

+ ثم أضاف قائلاً: «أرجوك يا حبيب، حتي ولو كان صعباً عليك، أن تعود بسرعة إلي ديرك، وأن تأتي لي بالعباءة، التي قدأهداها لك البابا أثناسيوس (الرسولي)...»!!

+ ثم يُعلِّق القديس چيروم علي ذلك قائلاً: «ولم يكن الأنبا بولا في حاجة لرداء، وإنما أراد أن يغيب عنه الأنبا أنطونيوس، ساعة نياحته بالجبل».

+ ولما سمع منه القديس أنطونيوس ما يتعلَّق بالعباءة ويقداسة البابا أثناسيوس الرسولي،تعجَّب من معرفته بهذه الأمور، ثم أخذ بركته، وانحنَي أمامه إكراماً لقداسته. ثم صلّيا معاً. وقبلّه مودعاً، وأسرَّع إلي ديره.

+ ولما وصل إلي هناك قابله تلميذاه اللذان كانا يبحثان عنه في الجبل لمدة طويلة، وسألاه: «أين كنت يا أبتاه كل هذه الأيام»؟!».

+ فأجابهما القديس أنطونيوس: «الويل لي ... الويل لي أنا الخاطي، لأن إسم «**مسيحي**»، الذي أنا أحمله، لا ينطبّق عليّ».

+ ثم أضاف القديس قائلاً: «لقد رأيت إيليا ويوحنا المعمدان في البرّية (أي شاهد ما يشبههما في الزُهد والنسك والعبادة). لقد رأيت بولا في الفردوس».

+ ثم أخذ القديس أنطونيوس يقرَع علي صدره (إظهاراً باتضاع لتقصيره في العبادة) ثم حمل العباءة وترك تلميذيه، اللذين كان يلتمسان منه أن يكشف لهما عن هذا الأمر . فقال لهما بروح الحكمة المشهور بها: «للسكوت وقت، وللكلام وقت» (جا ٣:٧).

+ ورحل القديس أنطونيوس في طريقه الي موضع القديس بولا، دون أن يحمل معه زاداً للطريق، وأسرع في السير، لأنه اشتاق لرؤيته، قبل أن يستودّع روحه في يدّي الرب المُحب.

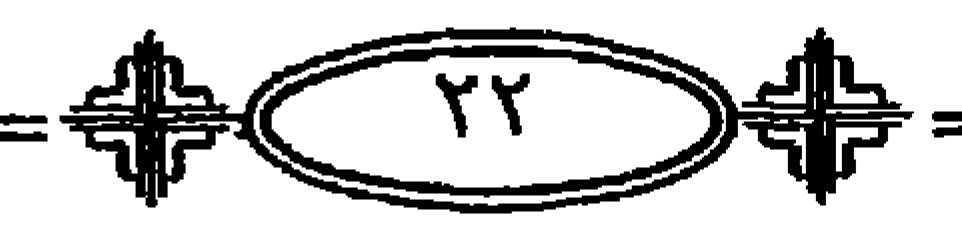
+ وقطع القديس اليوم الأول، سائراً علي قدميه، وسط

الجبال، وفي الساعة التاسعة (٣ عصراً) من اليوم التالي، رأي في العلاء جماعة من الملائكة ومعهم بعض الرسل والأنبياء، ووسطهم القديس بولا يضيء بنور شديد اللمعان كالشمس، وصعدت روحه معهم إلي السماء.

+ وبمجرد أن رآهم القديس أنطونيوس سجد وتنهد وبكي وقال بصوت مرتفع: «يا خائف الله، لماذا تركتني هكذا؟! ولماذا لم تنتظر حتي أعود لأحيّيك» (أودعك).

+ وأسرع الأنبا أنطونيوس إلي مغارة القديس بولا، فرآه ساجداً علي ركبتيه، ورافعاً وجهه نحو السماء، ويداه مبسوطتان إلي أعلي.

+ ففكر في نفسه وخاطب ذاته وقال «لعله كان لا يزال حياً»!! وصلي بجواره بحرارة، وكان لا يزال القديس بولا راكعاً. فأدرك أنبا أنطونيوس أنه أنتقل بهذا الوضع (وهو ساجد يصلي)، بينما ينتقل كثيرون من الأشرار، وهم في أوضاع مخزية أو في أماكن لهو فاسدة)!!



+ وقام القديس بلّف جسده المُبارك بالعباءة التي أتي بها بناء علي رغبته. ورنم المزامير حسب عادة الرهبان، وحمله علي كتفيه، إلا أنه نسي أن يجلب معه جاروفاً – أو أية آلة – لحفر قبر في الصخر للجسد الطاهر!!

+ وفكّر القديس في نفسه وقال: «ماذا أفعل؟ (لصعوبة الحفر في الصخر)، ولو ذهبت للدير لإحضار جاروف، فلن أرجع إلي ههنا قبل أقل من أربعة أيام».

+ ثم صلي وقال: «أيها الرب يسوع، دعني أموت هنا، مع حبيبك وخادمك بولا»!!

+ وفيما كان يتحدث بهذا الكلام إلي الرب، وإذا بأسدين جاءا وهما يجريان بسرعة نحوه، فرفع قلبه إلي الله، ونظر إليهما، فظهرّا كما لو كانَا حمامتين هادئتين. فعلم أنهما مُرسَلان من قبل الله، الذي يُكرِم الذين يُكرمونه (للمساهمة في عملية الدفن).

+ واقترب الأسدان من القديس، وهزّا ذيليّهما، كأنهما

يرحبان ويسعدان به. وتوقفا في هدوء، وأدرك القديس أنهما يريدان أن ينالا بركةً في المساعدة في دفن القديس بولا!!

+ ثم خفضا أذنيهما وأحنَيا رأسيهما - في خضوع تام - أمام القديس أنطونيوس، ولعقا يديه وقدميه، فعرف القديس أنهما ينتظران الإشارة منه. فشكر الله - تبارك أسمه - لأنه أخضع الوحوش إلي سلطان أولاد الله (كما كانت عليه الحال في جنة عدن) وجعلهم الله يساعدون القديسين المختارين، كعربون للملكوت السعيد.

+ ثم خاطب القديس الرب يسوع هكذا: «أيها السيد الرب، الذي بدون إذنه لا تسقط ورقة شجر علي الأرض (ولا شعرة من رأس إنسان) وبغيرك لا يسقط عصفور في الفخ (يتم اصطياده) باركنا جميعاً».

+ وبدأ الوحشان يحفران بمخالبهما قبراً للقديس بولا،

وعملا حفرة عميقة، وواسعة وطويلة، تسع لقامة القديس.

+ ثم وضع القديس يديه علي الأسدين وباركهما، ثم أشار اليهما بالانصراف. ولما رحلا بهدوء، وضع القديس جسد أنبا بولا في الحفرة حسب العادة (وجهه نحو المشرق). وتُعيِّد له الكنيسة يوم ٢ أمشير.

+ وبعد يوم من الصلاة وشكر الله، أخذ رداء القديس بولا المصنوع من سعف النخيل والليف، وهو كل ما ورثه عن القديس، كأنه أعظم كنز تركه له.

+ ثم رحل إلي ديره، وحكي لقداسة البابا أثناسيوس الرسولي وإلي الرهبان ماحدث بالترتيب للقديس بولا، وهو ما سجله القديس البابا أنبا أثناسيوس ضمن السيرة التي كتبها عن الأنبا أنطونيوس. وكانت سبب بركة وخلاص لكثيرين في كل العالم الغربي ولاسيما أغسطينوس.

+ وكان القديس أنطونيوس يرتدي ثوب الأنبا بولا الليفي

في مناسبتّي عيدّي القيامة والخمسين، بركة صلواتهما تكون معنا آمين[1].

+ **ويختتم القديس چيروم هذه السيرة العظيمة بقوله:**

* «إنني أسأل الأغنياء، الذين لا يعرفون كمية (مقدار) ثروتهم لزيادتها (بدون حصر) والذين يسكنون المنازل الواسعة، المزدّانة بالرسوم الجميلة (الديكورات): ماذا أعوزَ هذا الشيخ (أنبا بولا) الخالي من كل غِنيً مادي؟!».

+ ثم يضيف بقوله: «أنتم تشربون في كؤوس من فضة وذهب. وبولا هذا يطفيء عطشه بكف يده. أنتم تلبسون البرفير (الحرير) وكان هو مرتدياً ثوباً من نخيل... غير أن الأمر لا يبقي هكذا (فدوام الحال من

---

(١) راجع كتابنا «بستان القديسين» ص ٤٤٣ – ٤٤٩ (طبعة المحبة) وهو ترجمة لكتاب القديسين بلاديوس وچيروم.

* وتُنسب لأنبا بولا عبارة: **«من هرب من الضيقة، فقد هرب من الله»**، وإن كان البعض يري أنها من كلمات القديس «بولا» البسيط، تلميذ القديس أنطونيوس.



أَلمَحال) فقد أنفتحت السموات لهذا المسكين، والأغنياء سيهبطون بكنوزهم الي الجحيم. وتم دفنه في حفرة وهم يُدفَنُون في قبورٍ من رخام، ثم يُعذَّبون إلي الأبد»!

✠ ✠ ✠

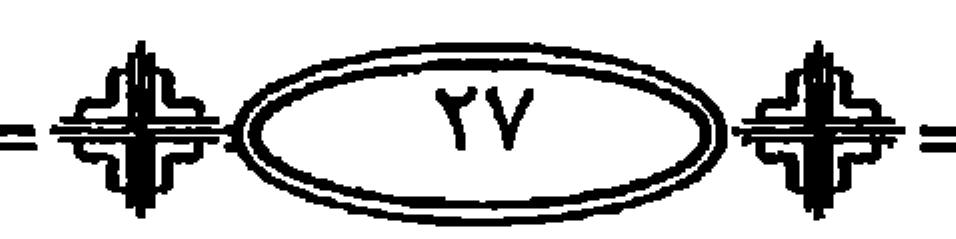
(٢) القديس أنبا أنطونيوس الكبير

+ وُلد في بلدة قمن العروس (مركز الواسطي ببني سويف) وانشغل بالعلوم الروحية. وكان دائم التأمل في الصلاة، حتي أنه كان يشعر بأنه يحيا، كما في السماء، وليس علي الأرض... وكان عفيفاً، وقليل الطعام[١].

+ وقبل أن يبلغ العشرين من عمره رحل والداه الي السماء، وتركا له أختاً.

+ وتقول إحدي المخطوطات إنه لما رأي أباه في نعشه

(١) شينو، القديسون المصريون ص ٤٤.



قال له: «لقد خرّجت من الدنيا رغماً عنك، وأما أنا فسأخرج منها بإرادتي» (في حياة التكريس).

+ وبعد أشهر قليلة دخل الكنيسة وسمع قاريء الإنجيل يقول: «إن أردّت أن تكون كاملاً، فاذهب بع كل ما تملك واعطِ الفقراء وأتبعني، وسيكون لك كنز في السماء».

+ وشعر الشاب أنطونيوس أن هذا الكلام موجه اليه من الرب شخصياً. فمضي وباع الأرض (٣٠٠ فدان) التي ورثها من والديه، وترك لأخته بعضاً من المال ووزع الباقي علي الفقراء، وأودع أخته بيتاً للعذاري المُتبتلات.

+ ثم عاش علي شاطيء النيل خارج المدينة، وتعلم من رجل مُسن حياة الجهاد الروحي في الصوم والصلاة والسهر الروحي.

+ وتروي إحدي المصادر القبطية أن سيدة بدوية نزلت تستحم في النيل وخلعت ملابسها أمام كوخه، فلما

خرجت سألها لماذا فعلت هكذا أمامه وهو رجل مُتوّحد (راهب) Monk؟! فوبختته بأن المتوحد هو الذي يدخل إلي الجبل، فقال لنفسه «هذا صوت ملاك وليس صوت إنسان».

+ ومضي إلي شرق النيل، حيث أقام في مقبرة فرعونية يمارس فيها صلواته. كما ظهر له ملاك الرب في شكل إنسان، وقد علمه صناعة السعف (الخوص) فكان يصنع شغل (القُفف) ويقوم شخص ببيعه له، وشراء الخبز والملح له.

+ وحاربه عدو الخير كعادته (إبن سيراخ ٢:١) بالأفكار الشريرة وبالظهور بشكل وحوش وحشرات وبأشكال مُخيَفة، أو في شكل غانية، ليثيره بالشهوة الجسدية، فاستخدم الأسلحة الروحية من صوم وصلاة ـ بكثافة شديدة ـ مع الاتضاع، فأعطاه الله استنارة الذهن وحكمة روحية عالية.

+ وكان يكتفي بلقمة وقليل من الملح والماء فقط، عند

الغـروب، ويقـضـي الليل كله في الصــلاة، وينام علي الأرض قـائلاً: «إن الجـسـد المُتـعَب يكون قـوياً في مواجهة (حروب) الشيطان».

+ وعاش وحيداً في المقبرة، ومع ذلك ظهرت له الشياطين، وظلوا يضربونه حتي أغْمي عليه، ولولا عناية الله التي حـفظتـه لمات. فـوجـده الشـخـص - الذي كـان يأتيـه بالخبز والماء - مُلقياً علي الأرض. فـحمله علي كتفه الي كنيسـة مدينة أطفيح (بالجيـزة حـاليـاً) ثم عـاد القديس الي جهاده في نفس المقبرة.

+ وشدد عليه إبليس الحرب (النفسية) فجاءه بأعداد من الجن من أتبـاعـه، فتشـققت حـوائط المقـبرة، وتسـرّبت أعداد كثيـرة من الشيـاطين في شكل ثعـابين وأسـود وثعـالب ونمور وعـقـارب - وهم يطلقـون صـيـحـاتهم - ووثبوا عليه وجرحوه.

+ فسخر القديس منهم وقال بشجاعة وإيمان: «لو كنتم أقوياء لما أتيتم إليّ بكل هذه الأعداد، ولكن نعمة الله

تجعلني أقوي منكم». ورسم صليباً فهربت الشياطين.

+ وجـاءه الرب يسـوع – في نور عظيم – وأبرأه مـن كل جراحه، وأزال ألمه.

+ فخاطبه القديس وقال: «يايسوع الطيب الحنون، أين كنت؟! ولماذا لم تأتِ من البداية لمعونتي؟!» .

+ فقال له الرب «ياأنطونيوس حبيبي، كنت معك، ولكني انتظرت جـهـادك حتي النهاية. ونظراً لأنك جاهدت بشجاعة (وايمان) فسوف أكون معك دائماً، وسوف أجعل أسمك مشهوراً في كل العالم».

+ وتذكر إحدي المصادر القبطية أن الشيطان كشف له عن كنز فرعوني من الذهب، وأنه حثه علي أخذه وشراء حقول أكثر مما باعه، ليستريح من هذا العناء، وليرعي أخته. فطمره ومضي في جهاده الروحي، وكان في ذلك الوقت في عُمر لا يتعـدي ٣٥ عاماً فقط!!

+ وعـزم القـديس أنطونيـوس علي الابتـعـاد تمامـاً عن الناس، فصعد إلي الجبل الشرقي، وسكن في قلعة



مهجورة، مصطحباً معه ماءً وخبزاً جافاً يكفيه لمدة ٦ أشهر، وأغلق علي نفسه من الداخل بالحجارة. وكان يمر عليه زائر مجهول (من عند الرب) يعطيه الماء والطعام كل نصف عام.

+ وكان البعض ممن سكن بجواره أسفل الجبل قد اكتشفوا مكانه، فشيَّد لهم ديراً سنة ٣٠٥ م علي مقربة من النيل. وكان قد وضع لهم قوانين للرهبنة السليمة.

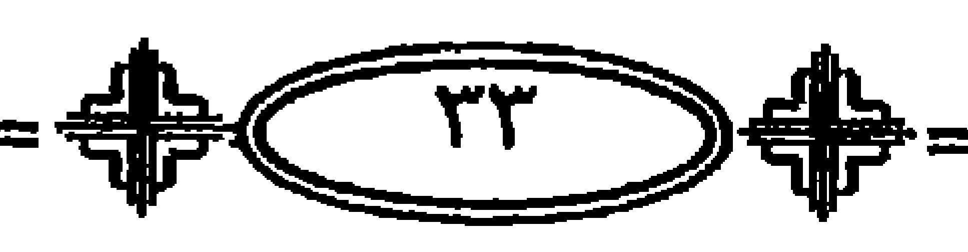
+ كما كان يرشدهم ويسندهم في جهادهم ضد الشياطين - بكلمات النعمة - ويقول:

* «فكِّروا دائماً في الأبدية، وقولوا لأنفسكم – كل صباح – إنه من الممكن ألا تعيشوا لتروا المساء. وفي المساء، فكِّروا إنكم قد تحيُّوا حتي تروا الصباح... وجاهدوا إبليس... وهو ضعيف أمام الصوم والتواضع والصلاة، والعمل الصالح، وارشموا علامة الصليب، فيهرب مُرتَعِباً... وقوموا باستكمال عباداتكم اليومية (صلوات المزامير والمطانيات) كما لو كان هو آخر يوم لكم في الحياة».

+ ولما أثار الامبراطور الوثني مكسيميانوس (شريك دقلديانوس الكافر) الاضطهاد ضد المسيحيين، ووصلت أخباره للبرّية، سافر القديس الي الاسكندرية، ليُثَبِّت المؤمنين في الإيمان، حتي الاستشهاد، وكان يتمني أن ينال هو نفسه إكليل الشهادة، ولكن الله أبقاه لمهمة رعاية الرهبان، والصلاة من أجل العالم المُحَارَب. وقد حضر استشهاد القديس البابا بطرس (خاتم الشهداء) بالاسكندرية يوم ٦ ديسمبر سنة ٣١١م.

+ ولما خفّت شدة الاضطهاد الروماني عاد إلي البرّية، وكان الله قد أعطاه نعمة شفاء المرضي، وإخراج الشياطين، فعاد الناس يأتون اليه، طلباً للشفاء. فعزم أن يذهب الي الصعيد، هرباً من المجد الباطل (محبة المديح).

+ فجاءه هاتف بأن يذهب الي جبال البحر الأحمر أفضل. فصحب قافلة تعبر الصحراء الشرقية إلي أن وصل الي منطقة مرتفعة تحيط بها بعض النخيل وينبوع ماء عذب، كما وجد مغارة أسفل الجبل فأقام بها.



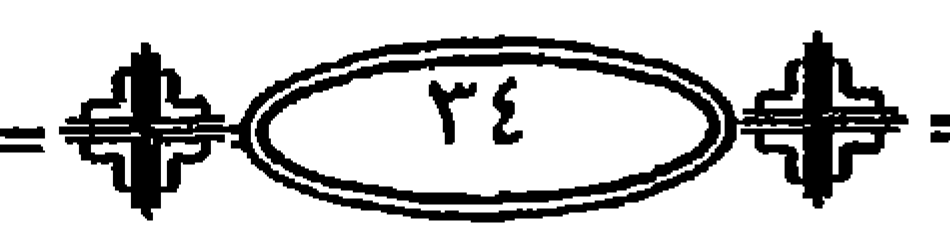
+ ثم أكتشف مغارة علي قمة الجبل. بعيدة عن الناس، وكان يقضي الليل كله في الصلاة حتي ينتشر ضوء الشمس، فيعتب عليها ويقول: «لماذا تُشرقين عليّ؟ ماحاجني اليكِ؟ فأنا محتاج إلي النور الحقيقي» (المسيح).

+ وفيما كان القديس يتمتع بالوحدة الكاملة – مع الرب – بدأ أولاده يقلقون عليه بسبب غيابه الطويل، وبحثوا عنه في الصحراء، إلي أن عرفوا من القافلة التي صحبته. فذهب اليه بعض الرهبان ومعهم بعض الطعام، وطلبوا منه ألا يتركهم تماماً، بل يزورهم من وقتٍ لآخر.

+ فلما مضي معهم، نفد الماء في الطريق. فصلي بدموع، فانفجر نبع ماء عذب رواهم، وملأوا قِربهم، ووصلوا إلي أديرة الوادي.

+ ومما أفرح قلبه هو مقابلة شقيقته – بعد سنوات طويلة – وقد جاءت إليه مع بعض الراهبات. وشكر القديس الرب علي اختيارها لحياة للتكريس والبتولية.

+ ولما انتشرت بدعة أريوس في الاسكندرية، ذهب اليها



القديس، وبشّر بألوهية الرب يسوع بقوة وثبات، مما أوقع الشك في نفوس الهراطقة. واعتبروا أن معتقداتهم خاطئة، لأن القديس أنطونيوس كان رجلاً روحانياً عظيماً، ومشهوراً.وقد هرع المسيحيون والوثنيون لرؤية رجل الله العظيم وهو في الاسكندرية.

+ ولما اشتد اضطهاد الحاكم بلاسيوس، بعث له القديس أنطونيوس برسالة لكي يكف عن أذي المؤمنين، ولكنه – في كبرياء – مزقها وداسها بقدميه، وماهي إلا أيام معدودة حتي هاج جواده عليه وأوقعه وعضه ومات، وبذلك تحققت نبوءة القديس عنه.

+ وعاش القديس مع الرب – في وحدة مباركة – ١٠٥ سنة. وقد أوصي رهبانه بالابتعاد عن غير المؤمنين (الوثنيين) والهراطقة. وأن يعيشوا الإيمان السليم.

+ **ومما قاله أيضاً للكل:**

* «لا تعُد الي المكان الذي أخطأت فيه».

* «وطوبي لمن لزم التوبة، حتي يمضي الي الرب».

+ وفي حنان أبوي ودّع أولاده الرهبان، ورافقه في أيامه الأخيرة القديس أبو مقار المصري (الكبير) والقديس أنبا آمون، الذي أملي سيرته علي البابا أثناسيوس الرسولي، والذي تتلمذ علي يديه بعض الوقت، قبل رسامته.

+ وأوصي القديس تلميذيه بأن يدفناه في التراب، دون أن يُعلماَ أحداً بمكان قبره، ثم مد ساقيه علي الأرض وتنيّح في فرح. وحملت الملائكة روحه الطاهرة بالتهليل عام ٣٦ش (٣٢٠م) بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

+ وبعد مرور مائتي عام، تم اكتشاف جسده المقدس، عن طريق معجزة[١] ونُقِل الي القسطنطينية ثم نُقِل الي مدينة آرل (Arles) بفرنسا، في نهاية القرن الخامس. وقد شهدت فرنسا عدة معجزات من رفاته المقدسة، مما دفع بعض المسئولين الي بناء دير هناك للآباء الأنطونيين سنة ١٧٧٦م.

✠ ✠ ✠

---

(١) شينو، المصدر السابق، ترجمتنا، ص ٥١.



(٣) سيرة القديس مرقس السائح

● حياته الأولى:

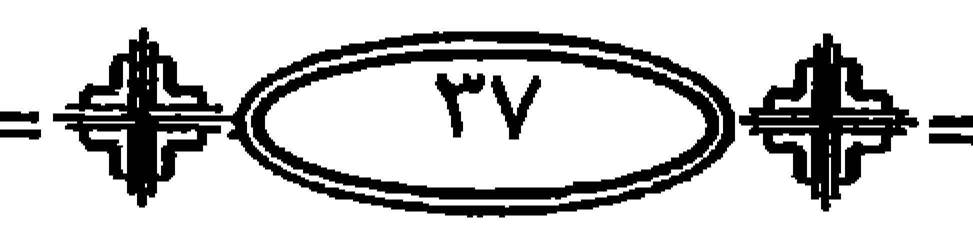
+ جاءت سيرة هذا الناسك في مخطوطة يونانية قديمة[1] ونصها كما يلي:

+ كان القديس الأنبا سيرابيون (Sérapion) أباً روحياً لستة آلاف راهب يعيشون في مغارات الفيوم. وقد جاء لزيارة راهب في البرية، وفي طريقه استراح عند راهب يُدعي «يوحنا».

+ ورأي عنده رؤيا، وإذ بإثنين (من الملائكة) في زي رهباني، كانا يتحدثان معاً – في الحُلم – عن سائح في جبل برقة بليبيا. وتضمن حديثهما أن له من العُمر ١٣٠ سنة، منها ٩٥ سنة لم يبُصرَ فيها وجه إنسان. كما ذكرا في حديثهما أنه سيرحل من العالم بعد ٤٠ يوماً من تاريخه.

---

(1) Manoscrit Grec de Bibl. de Dijon, d'après Cheneau, les Saints d'Egypte, I,pp.431 - 39.



+ ولمـــا أخـــبر القـديس سيـرابيون مـضيفـه بما رآه نصحه بالتوجه إليه. فمضي - في الصحراء الغربية - سيراً علي الأقدام. وملأ جـرته مـاءً، ثم طلب معونة الرب، ليقوده للقديس السائح.

+ وصار بالصحراء بقرب الساحل الشمالي الغربي - ولم يَر إنـسانـاً ولا حيـوانـاً، لمدة ٢٠ يومـاً حتي نفـد منـه الماء. وشـعـر بالعطـش الشـديد، وأشـرف علي الموت، وطرح نفـسـه علي الأرض، وتضـرّع إلي الله لينقذه من الهلاك.

+ فـإذا بـه يري الرجلين (الملاكين) اللذين رآهمـا في الحلم، وقد قـالا له: «قم واتبـعنا». وأرياه نبع مـاء. وأشارا إلي أعواد نباتية جافة، فقالا له: «كُـل منها، واستمر في سيرك، مُتكـلاً علي معونة الله».

+ ثم خاطباه بأن يُسرِع للقاء أنبا مرقس، قبل أن يتنيّح. ثم أختفيا عنه.

+ وسار القديس سيرابيون سبعة أيام، دون أن يشعر بالتعب، إلي أن وصل إلي هضبة برقة (السلوم حالياً). وأمضّي عدة أيام في البحث عن السائح، دون أن يعثر عليه!!

+ وفي منتصف ليلة لمح ملائكة تنزل من السماء، وتهبط إلي منطقة قريبة منه، وسمعها تقول: «طوباك ياأنبا مرقس، لأنك نلت نعمة من عند الله». وها قد وصل إليك أنبا سيرابيون، الذي كنت تتمني أن تعرفه. وهو هاهنا، وعندما يقابلك استقبله بفرح».

+ وبعد ذلك سمع الأنبا سيرابيون القديس مرقس السائح، يصلي الي الرب. ويخاطبه قائلاً: «يا سيدي الرب، إن يوماً في حضرتك خير من ألف عام في قصور أهل العالم». وهي مقولة صدق وحق.

+ ثم خاطب ذاته وقال: «إن روحك تبتهج كثيراً – يامرقس – لأنها لم تتدنس بالمعيشة (في هذا الموضع) طوال قرن من الزمان، وإن جسدك –

يامرقس – لم يعرف الشهوات العالمية الفاسدة. وإن عينيك تفرحان – يا مرقس – لأن الشيطان لم يُدنسهما بمناظر العالم الشريرة. وإن يديك أكثر فرحاً – يامرقس – لأنهما لم يمسا – أو يمتلكا – أشياءً أرضية (فانية)... وقد شبعت نفسك من غذاء الروح. وتقدّس جسدك بمخالطة الملائكة... باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣:٢).

اللقاء الموعود به من السماء:

+ ثم خرج القديس مرقس السائح من المغارة، ووجهه ملبد بالدموع. ونادي بصوتٍ مرتفع وقال: «أعرف – يا أنبا **سيرابيون** – إنك وصلت بسلام الله... اقترب مني يا إبني»!!

+ وعانقه بتأثر شديد، ثم قال: «ليتبارك اسم الرب الذي قادك إلي ههنا... ها قد مرت ٩٥ سنة، لم أرَ فيها وجه إنسان... وأنت أول من أُقابله بعد هذه المدة الطويلة... فأرجوك أن تجلس».

+ وقد انتهز القديس سيرابيون فرصة وجوده مع هذا السائح العظيم، وسأله عن سيرته الأولي. فأجابه بكل أتضاع وقال: «قضيت ٩٥ سنة في هذه المغارة، وعلي هذا الجبل المقدس (شمال شرق ليبيا) ولم أذق فيها طعاماً من إنسان، ولم أرتد ملابساً ماعدا تلك... وفي الثلاثين عاماً الأولي، عانَيتُ بشدة من العطش والجوع... وكم يكون هذا التعب (الجسدي) إذا ما قورن بفخاخ الشيطان».

+ ثم أضاف السائح المبارك قائلاً: «كان طعامي الطين، وشرابي الماء المالح. وقد أقسَمت الشياطين - في غيظها ألف مرة - علي خنقي ودفعي من أعلي الجبل إلي هوَّة سحيقة... وكانوا يطلقون صرخات مزعجة ويقولون «أُخرج من هذه المنطقة، التي اغتصبتها منا، لأنه منذ خلق العالم لم يتجاسر إنسان علي التواجد بها».

+ ثم قال القديس: «وبعد فترة طويلة من حروب الشياطين، **أشفق الله عليَّ**، وسترني وسندني، ومنح

جسدي قوة خاصة... وكانت الملائكة تلازمني باستمرار... وقد ذُقت - يا ابني - فرح الفردوس ورأيت نعيم الملكوت، المُعدّ للسالكين بالتقوي (في الفضائل)... ولم يرفض لي الرب أية رغبة في التعمّق في المعرفة، والتأملات الروحية».

+ ثم سأله الأنبا سيرابيون: **«كيف أتيت إلي هذا الجبل؟!»**

+ أجابه السائح المُبارك بقوله: «يا بُنيّ - لقد وُلدت في أثينا (باليونان) حيث عشت فيها حياتي الأولي. وتعلّمت في مدارسها الفلسفية الشهيرة، ولما أختطف الموت أبي ثم أمي - فجأة - كنت أقول لنفسي:

* لابُد أنك ستموت لا محالة (عب ٩:٢٧) فما الحاجة الي مزيد من العلوم (العالمية) التي تعطيك مركزاً مرموقاً في العالم؟! إذن، فلنعش للرب فقط، ولنتحلل من كل رباطات العالم (مادياته) ولنتجه للممارسات الروحية (الجهاد الروحي مع النعمة).....».

+ ثم سأل الأنبا مرقس ضيفه: عن أحوال العالم الروحية، وهل هناك قديسون؟ وهل هناك اضطهادات؟! وهل يوجد خُدَّام يصنعون المعجزات، حسب وعد الرب؟! (مت ١٠:٨، مر ٣:١٣، لو ٩:١)...»

+ فأجابه القديس سيرابيون بقوله: «إن الإيمان (المسيحي) ينمو بسرعة، وينتشر، كنمو حبة الخردل، التي تصير شجرة كبيرة (مت ١٣: ٣١ ـ ٣٣).

+ ولما علم القديس مرقس بوجود عثرات في العالم – في عهده – قال: «ماأشقي الأرض – لأن المسيحيين ليس لهم سوي الاسم فقط، والبعض ليس لهم الإيمان القوي – الذي يطالبهم به السيد المسيح» (وهو ما نراه اليوم بصورة أكبر للأسف).

+ ثم شكر القديس مرقس الرب وقال: "أباركك – يا إلهي – لأنك قُدّتني إلي هذا المكان الصحراوي، ومنعتني من الحياة في أماكن ملوثة بالشرور والآثام».

+ وعند الغروب قال القديس مرقس السائح: «يا أنبا سيرابيون...لقد حلّ وقت تسبيح الله، وليُقدّم لنا الرب أحلي واجبات الضيافة»!!

+ ثم قام وبسط يديه نحو السماء، وبدأ في تلاوة مزمور (الراعي) وقال: «الرب راعيّ فلا يعوزني شيء... الخ» (مز ٢٣:١ ـ ٦).

+ وقال وهو يزرف الدموع: «يا بُنّي... لقد أُعِدّت لنا المائدة، فلندخل ولنتناول من الوجبة التي أرسلها الرب لنا»!!

+ فدخل القديس سيرابيون المغارة، وأحسّ كأن غمامة قد غطّتها فلم يرَ شيئاً، وبعد قليل لمح مائدة، وبجوارها مقعدان، وفوقها مفرش جديد، عليه خبز طازج وسمكتان مشويتان، وحلوي وزيتوناً وتمراً وعسل النحل!!

+ ولما جلسا كلاهما، قال القديس مرقس السائح: «أرجوك – يا أنبا سيرابيون – أن تُبارِك الطعام الذي

سنأكله. ولم يجد سيرابيون الوقت – لقبول أو لرفض الدعوة – للصلاة علي مائدة الطعام، لأن يداً خفية ظهرت – من أسفل المائدة – ورسمت صليباً كبيراً علي هذا الطعام العجيب!!

• الأنطلاق إلي الفردوس:

+ ولما أنتهي الأكل والشكر، قام القديس مرقس السائح، وخاطب خُدّامه الغير مرئيين، وقال لهم: «يا أولادي... ارفعوا المائدة»!! وفي لحظة أختفي كل شيء!!

+ وحينئذٍ خاطب القديس مرقس ضيفه، الذي كان في دهشة من أمره، وقال له: «يا ابُنَّي ... أُنظر إلي الحب الذي يمنحه الله لخُدّامه... إذ أنه لم يكن يرسل لي الرب – **يومياً** – سوي **سمكة واحدة فقط**، ومن أجلك أرسل لنا الرب **سمكتين**».

+ ثم أضاف قائلاً: والآن قد كَمُلت أيامي، وقد قادك الرب لكي تواريني التراب، وتُصلي عليَّ... وسامحني يا أبني لِمَا قد سببّته لك من متاعب في السفر إليّ».

+ «وسأرحل هذه الليلة إلي الأبدية (الفّردوس)، فلنقضها معاً في الصلاة... وبعد موتي إدفن جسدي - في هذه المغارة - ثم سْد مدخلها بحجارة كبيرة، ثم عُد إلي ديرك، لأن الرب لا يريدك أن تُقيم في مكاني».

+ وبكي القديس سيرابيون بالدموع وقال: «ياأبي... صِل إلي الرب من أجلي، واطلب منه، لكي أتبعك حيثما تذهب، لأنني لا أعرف من أية سكة أعود الي مصر»!!

- فقال له أنبا مرقس «يا إبني، لا تُحّزنني بهذه الدموع، لأنها اللحظة التي فيها فرحي، لانطلاقي من عالم الشقاء إلي دار الهناء... والرب سوف يحفظك بأمان، حتي تصل الي وطنك بسلام تام... والآن سأرحل حالاً، للذهاب إلي موضع الراحة الحقيقية في الأبدية».

+ وفجأة أضيئت المغارة بأنوار مبُهَرة، وتعطرت بروائح جميلة جداً. ثم قال القديس مرقس: «وداعاً - أيتها المغارة الغالية - التي عشتُ فيها مع الله - روحاً وجسداً... وسوف تحتفظين بجسدي حتى يوم القيامة... وداعاً أيها الجسد، موضع الكد والتعب والعَوَز... بسببك عانيت من الجوع والعطش والبرد والحر الشديد... والآن جاءت الساعة لكي تتقلد تاج المجد والبهاء... وداعاً عيناي اللتان سهرَتا الليالي، والآن أغلقا الجفون...»

* «وداعاً إخوتي النُساك والسواح القديسون، الساكنون في مغارات الجبال وشقوق الأرض، والمتوحدون في البراري (عب ١١:٣٨) من أجل محبة الله ورضاه... وداعاً أيها المحبوسون والمضطهدون من أجل ربح الملكوت... وداعاً يا كل مؤمني الكنيسة... وداعاً أيها المساكين بالروح... وداعاً أيتها الأرض. وليت كل من يعيش عليكِ يكون في سلام مع الله، وفي محبة المسيح»!!

+ ثم عانق السائح المُبارك الأنبا سيرابيون وقال له: «وداعاً لك يا إبني المُبارك وأخي الحبيب في الرب... ليكافئك السيد المسيح عن تعبك، في هذه الرحلة الطويلة... واستحلفك باسم الرب ألا تنزع شيئاً من جسدي البائس، ولا شعرة واحدة، ولا تضعه (تكفنه) في أي رداء، بل اتركه علي الحالة التي خلقه الله فيها»!!

+ وعندئذٍ سمع الأنبا سيرابيون صوتاً جميلاً كالموسيقي المعزية، ينبعث من السماء ويقول بهدوء:

* «تعال، يا ابني مرقس، تعال استرح - إلي الأبد - في موضع السعادة الحقيقية والفرح الروحي».

+ فقال القديس مرقس: «لنركع ونرفع أيدينا نحو السماء».

+ وفي تلك اللحظة المباركة، دخل الملائكة الي المغارة وحملوا روح القديس الطاهرة، وهي متوجة بإكليل

المجد، علي جهاده مع النعمة، إلي الفردوس ولكي يلتقي أيضاً مع الرب القدوس، الذي يطوّبه، ويدعوه إلي الدخول إلي فرحه، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

+ وظل الانبا سيرابيون يرنم - طوال الليل - ولما حل الصباح، حفر حُفَرةً داخل المغارة، ودفن بها الجسد المبارك الذي للقديس مرقس السائح. ثم أغلقها بوضع عدة أحجار علي فمها. وصلي طالباً معونة الإله ليساعده في الرجوع الي قلايته في مصر.

+ ثم انحدر ببطء من الهضبة نحو الصحراء، وسار في طريقه إلي أن حل المساء، وفي ذلك الوقت ظهر له الملاكان اللذان رأهما في الحلم عند القديس يوحنا بصحراء الفيوم.

+ وقالا له: «في هذا الصباح، قد أعددت قبراً لرجل لم يكن العالم مستحقاً له... وقد قمت بعمل من أعمال

الرحمة يُرضي الله كثيراً... ومن الأفضل لك أن تسير ليلاً، لأن جو الصحراء يكون أكثر اعتدالاً منه بالنهار الحار».

+ وأطاعهما القديس سيرابيون. وسار خلف الملاكين، وكان يتبعهما ليلاً، وكانا يختفيان عنه نهاراً، إلي أن وصل إلي قلاية الراهب يوحنا، وقص له كل سيرة هذا القديس السائح، وهي خير درس لكل نفس(١).

✣ ✣ ✣

(٤) سيرة القديس أنبا توماس السائح

حياته الأولي:

+ وُلِد هذا القديس سنة ٣٣٢م بقرية شنشيف (شمال أخميم) من أبوين مسيحيين مباركين، محبين للرب

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: «**تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية**» (طبعة مطرانية دمنهور، ١٩٨٧ ص ٣٢٨ - ٣٣٤.

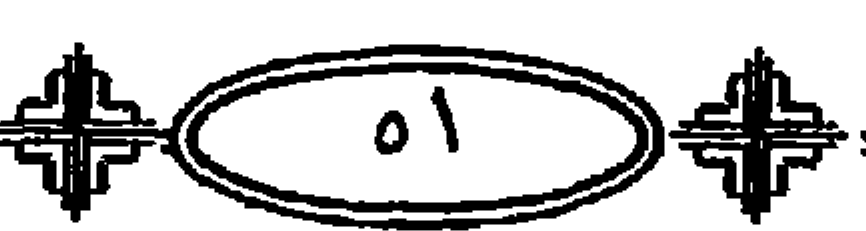
يسوع، فربياه في مخافة الله. فزهد العالم في سن مبكرة، فترك منزله وعاش في مغارة بجبل شنشيف، وقد تأثر بأسلوب القديس أنطونيوس في الحياة الرهبانية الانفرادية، والجهاد المستمر، والتسبيح والصوم والصلاة بدموع، طول الليل والنهار.

+ ومع أنه مال للوحدة، لكنه كان يفرح بلقاء زواره من دير القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين بسوهاج.

+ وقد اقتنى فضائل المحبة ونقاوة القلب، التي أهلَّته أن **يخاطب الرب فماً لفم**. كما امتاز ببساطة القلب، وهي من سمات سكان السماء، حيث لا توجد ميول شريرة، ولا حسد ولا خصام، بل سلام دائم.

+ وقد قال عنه القديس أنبا شنودة - رئيس المتوحدين - بعد زيارته في مغارته: «إنني عُدت من أورشليم السمائية، مُحمَّلاً بكل بركات الروح».

+ ومن ممارسة وسائط النعمة، اقتنى القديس ثمار الروح



القدس (غل ٥:٢٢ ـ ٢٣) ومواهب الروح أيضاً، مثل موهبة التنبؤ، حيث أعلم أنبا شنودة بالعلامة التي سيراها عندما يعرف بساعة نياحة القديس توماس السائح، وقال له:

* «يوجد حجر كبير، عند باب قلايتك، سوف ينشّق إلي نصفين **وقت إنتقالي**... وإنك ستلحق بي، في اليوم السابع من شهر أبيب»·

+ كما أعطاه الرب الحكمة، والمشورة العالية لكل من كان يقصدهكما وهبه موهبة إخراج الشياطين وشفاء المرضي الكثيرين، حتي كان البعض يُلّقبُه **«بالطبيب»**·

+ وقد شهد الأنبا ويصا تلميذ القديس الأنبا شنودة – في المخطوط الذي سجّل فيه سيرة معلمه – بحضور الملائكة باستمرار عند القديس توماس السائح· وكانوا يخدمونه طول حياته علي الأرض·

+ وجاء في ميمر أنبا ويصا ما نصه:

* «أن القديس توماس السائح كان محبوباً، وقد شهد له أبي (الأنبا شنوده) بأنه لم يكن أحد يُعادله (في تقواه) وأن السيد المُخَلص (يسوع) خاطبه، وأن الملائكة حضروا عنده مراراً كثيرة... وقد أوصل السيد المسيح أبي إلي القديس توماس، وافتقده،وعزاهما أيضاً معاً، دفعات كثيرة».

رحيل القديس إلي السماء:

+ ويضيف الأنبا ويصا في مخطوطته قائلاً: «وعندما دنت نياحة القديس توماس، قال لأبي (أنبا شنودة): «ها أنا أفارقك، لأن ملاك الرب أعلمني - هذه الليلة - أن الرب سيفتقدني قريباً. وهذه آخر مرة أخاطبك فيها بالجسد».

+ وأضاف القديس توماس قائلاً للقديس أنبا شنودة



رئيس المتوحدين: «كما أخبرني (الملاك) عن يوم نياحتك أنت أيضاً... ويخرج للقائك قديسون كثيرون». فقال له أبي: «كيف يمكنني معرفة ذلك اليوم، الذي ستنتقل فيه؟!».

+ فأجابه القديس توماس قائلاً: «سأجعل لك علامة عجيبة، وهي أن الحجر الذي تجلس عليه أنت - خارج مسكنك - يكون أنه في الوقت الذي يُفَرِّق بين نفسي وجسدي، ينفلق هذا الحجر، كمثل كتابٍ تفتحه، والذي عال طوبيت بن طوبيا - في أرض غربته - الذي هو رافائيل رئيس الملائكة(١) تنظره يسير قُدَّامك أنت، ومَنْ تختارهم، إلي أن تصل إلي مسكني (بعد عبور النيل) بغير سفينة، فاصنع محبة - من أجل الرب - واستر جسدي المسكين، لأني بائس ومنقطع،

(١) رؤساء الملائكة السبعة (من طغمة الكاروبيم) الواقفين أمام عرش الله هم: ميخائيل - غبريال - رافائيل - سوريال - أنانيال - سرتيال - صدقيال.

وليس لي سوي الله وحده. فقال أبي «لتكن إرادة الله».

+ ثم أن أنبا توماس قبّل أبي وقال: «استودعك الله من الآن، حتي ألتقي بك في بيعة الأبكار» (الفردوس) وخرج أبي من عنده، ورجع إلي مسكنه (ديره)...».

+ «وحدث أنه بعد أشهر، بينما كان أبي واقفاً عند الحجر، الذي أمام مسكنه يصلي، أن الحجر إنشق إلي إثنين (نصفين)، فتنهد أبي (القديس شنودة) وقال: «**لقد عدمت برية شنشيف سراجها**».

+ «ولما قال هذا أبصر رئيس الملائكة رافائيل (Raphael) يشير إليه... ويقول: «السلام لك ياخليل الله، وحبيب سائر القديسين، هلّم لنستر جسد القديس «توماس».

+ فتبعه وجاء إلي الدير، وكان الوقت ليلاً.

+ «فصادف أنبا شنودة أخاً يتلو المزمور القائل: «إني أقوم في نصف الليل، لأشكرك على أحكام عدلك» (مز١١٩:٦٢) فقال له: «يا أبي اتبعّني».

+ «ثم جاءوا إلي الأخ أخنوخ. وكان يتلو المزمور القائل: «إني استظل تحت جناحيك، وعدلك يحيط بي كسلاح» (مز٦١:٤). فقال له: «ياأبي إتبعني».

+ ثم جاءوا إلي أنبا يوساب - الكاتب الحكيم - وهو يتلو المزمور القائل: «نحن نهضنا وقمنا، وبإسم إلهنا انتصرنّا». فقال لهم: «ياأبي: السلام لك، أيها الثمرة الطيّبة... إتبعّني».

+ «ثم دخل (أنبا شنودة) الكنيسة ، ووصل إلي المذبح، وصلي مع الإخوة (الرهبان) الثلاثة - ثم انطلقوا، ورافائيل الملاك يُنير قدامهم الطريق، حتي وصلوا إلي باب المسكن (مغارة أنبا توماس بالجبل) **بغير سفينة**» (حيث عبَر بهم الملاك النيل).

+ «فدخل أبي أولاً وهو ينادي: «بارِك عليَّ»! فسمع المرتل داود النبي وهو يقول: «مبارك الآتي باسم الرب» ثم رتل داود النبي بقيثارة قائلاً: امتلأت أفواهنا فرحاً، ولساننا تهليلاً». وكان الرب موجوداً.

+ «ثم صعد السيد المسيح – مع ملائكته – إلي السماء، فدعا أبي الأخوة، فقرأوا عليه (الصلوات) طويلاً، ثم كفنوه ودفنوه بتجهيز عظيم».

+ «ورجعوا إلي الدير (في الشاطيء الغربي للنيل) بغير سفينة أيضاً، ولم يقل أحد كلمة (طوال الطريق) لأن رئيس الملائكة رافائيل كان يتقدمهم وبيده قضيب من نار، ليُنير لهم الطريق (ليلاً) وهذا إنما كان ليتمجَّد الله في قدّيسيه».

+ هذا وقد قام نيافة الأنبا بسادة – أسقف أخميم وساقلته – بافتتاح الدير القديم والخاص بالقديس توماس السائح، عند سفح الجبل الشرقي في قرية

عرب بني واصل (مركز ساقلته) سنة ١٩٨٤م، واختار الرب قُدس القمص إبرام الصموئيلي للخدمة به سنة ١٩٨٥م. وقد أعلن جنابه عن ظهورات للقديس في الدير، كما تواصلت المعجزات به إلي الآن[1]، بركة شفاعته وصلواته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٥) سيرة القديسة اسكندرة السائحة

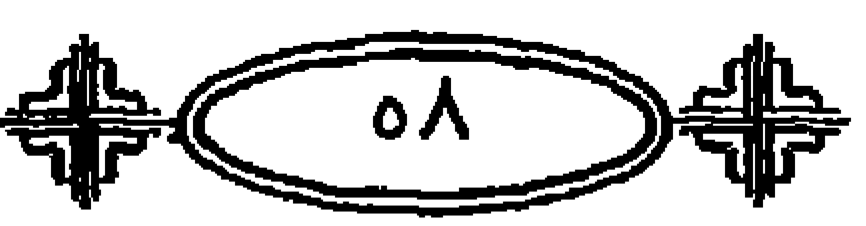
+ روي القديس ديديموس الضرير - للقديس بلاديوس[2] - هذه السيرة العطرة، التي لهذه البتول، التي خرجت من مدينة الاسكندرية، وحبست نفسها «في قبر»

---

(١) كتاب الأنبا توماس السائح، إعداد القمص ابرآم الصموئيلي سنة ١٩٩٩م.

+ مخطوط سيرة أنبا شنودة رئيس المتوحدين، عن نسخة الأثري الفرنسي أميلينو (Amélineau) من إعدادنا ونشر مكتبة «مارجرجس» بشبرا مصر.

(٢) راجع كتابنا «بستان القديسين» طبع مكتبة المحبة ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .



(وكانت القبور على شكل حجرات في أيامها، في القرن الرابع الميلادي) خارج المدينة.

+ وكانت تحصل علي قُوتِها وحاجتها من خلال طاقة (نافذة) صغيرة في القبر، ولم يرها أحد لمدة ١٢ سنة كاملة، إلي أن رقدت في الرب، واستراحت من جهاد الجسد الصعب.

+ وحدث ذلك عندما ذهبت الأخت التي كانت تخدمها، وكانت تُدعي «ملُّهة» (Melha) إلي المكان التي كانت تتعبد فيه، وقرعت علي النافذة كالعادة، فلم تجد إجابة من البتول «اسكندرة» (Alexandra)، فأدركت أنها قد تنيحت. فجاءت وأعلمت الأخوة.

+ فلما ذهبوا الي قلايها (في القبر) خلعوا بابها، ودخلوا فوجدوها قد رقدت في الرب وهي مُمددة علي الأرض، وكان جسدها ناشفاً (من كثرة الصوم والزهد بلا طعام مناسب سنين طويلة).

+ ثم حكَت لهم الأخت سيرتها وقالت: «لم أرَ وجهها أبداً، ولكن كنت أقف بالقرب من النافذة وأناولها حاجاتها واستودعها الرب وأرجع. وذات مرة رجوتها بإلحاح أن تُعرّفني عن سبب حبسها لنفسها في هذه المقبرة المظلمة، وفي هذا المكان الموحش».

+ «فقالت لي القديسة: «كان حب الرب يملأ قلبي، لذلك طلبت من الرب يسوع أن يحفظ بتوليتي، كما ولدتني أمي، في حياة التكريس (البتولية) والعبادة الدائمة».

+ ثم أضافت قائلة: «لقد أثار عدو الخير الحرب عليَّ، فدفع شاباً نظر إليَّ بفكر شرير، بقصد إفساد عفتي، ولكني لم أرغب في أن أعثره، وأتكلم عليه كلاماً قاسياً، ليبتعد عني. لذلك هربت من المدينة، وقررت أن أحبس نفسي في هذا القبر، حتي لا أكون سبب عثرة لهذا الشاب، الذي خَلقَه الله علي صورته ومثاله».

+ ثم قلت لها: «وكيف استطعتي أن تعيشي ههنا، ولا ترين وجه إنسان، ودون أن تنساقي لليأس من طول سنوات الحبس؟!»٠

+ فاجابت وقالت: «إنني أشغل وقتي بالصلوات، وعمل يدّي، ولا أترك وقتاً فارغاً، أو مجالاً للكسل، حتي لا يحاربني عدو الخير» (وهو درس هام جداً لكل نفس تريد أن تبتعد عن حروب إبليس، ولا تُعطي له الفرصة ليحاربها، وكما يقول المثل الشائع: «إن مخ الكسلان معمل للشيطان»)٠

+ ثم استطردت قائلة: «فمن الصباح الباكر حتي الساعة التاسعة (٣ عصراً) أقوم بنسج الكتان، وتلاوة المزامير (صلوات الساعات بالأجبية) والصلوات الخاصة (الإرتجالية)٠ أما بقية نهار اليوم، فإنني أخصصه لحفظ أقوال الآباء عن ظهر قلب٠ والتأمل في الكتاب المقدس وسير الرسل والشهداء

والقديسين، لكي أنظر إلي سيرتهم وأتمثَّل بايمانهم وجهادهم (عب ١٣:٧).

+ ثم أضافت قائلة: «وأما باقي الوقت، فإنني أعمل شغل يديَّ، وأتناول خبزي بفرح وشكر، وبذلك يملأ الرب قلبي بتعزيات الروح القدس. وأنتظر بشوق رحيلي من هذا العالم، في رجاء كامل بالوجود مع الرب يسوع في السماء».

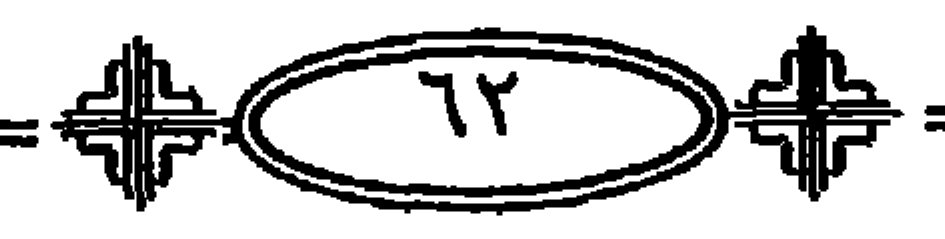
+ بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٦) سيرة القديس اسطفانوس السائح

تجربة صعبة:

+ كان هذا السائح من ليبيا، وسكن في الصحراء (بين مرسي مطروح ومريوط) وقال القديس بلاديوس إنه عاش في مارماريكا (شرق السلوم) في أيام القديس أنطونيوس.



+ وقد عاش في البرية، ممارساً الجهاد الروحي، فنما في النعمة والقامة الروحية. وكان يُعزّي كل نفس مُتعبّة تأتي اليه شاكية متاعب الدنيا الكثيرة والمريرة، فتمضي من عنده وهي مليئة بالفرح القلبي والسعادة الروحية.

+ ويذكر القديس بلاديوس (الذي زار مصر سنة ٣٩٥)[١] أنه قد مضي اليه القديسان أنبا أمونيوس ومارأغريس (Evagarius)، وقد «حكيا لي، وقالا: «لما سافرنا اليه في مكانه (بالساحل الشمالي الغربي) وجدناه مريضاً بقُرح سرطاني (خبيث) يسمي الآن (في أيام بلاديوس في أوائل القرن الرابع) «غرغرينة» (كما هي عليه الحال للآن).

+ «وبينما كنا معه جاء اليه الطبيب ومعه منشاره ليبتر

(١) راجع ترجمتنا لكتابه «بستان القديسين» (طبع مكتبة المحبة) ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

ساقه، بينما كان القديس اسطفانوس الليبي جالساً في هدوء ويجدل السعف (الخوص)· وكان يتحاور معنا، بينما كان الطبيب ينشر جسده وهو يعمل بيده!! ».

+ «وكان يحتمل عملية قطع أطرافه، وكأنها لم تكن في جسده (بالطبع بدون مخدر حتي موضعي) وكان يشكر الله»!!

+ «وقد تعجبنا مما كان يحدث له، في هذا الوضع الصعب جداً»، فلما رأي القديس تأثرنا وإشفاقنا عليه من شدة الألم، قال لنا بروح الاتضاع والحكمة الروحية العالية: «يا وَلَدَيَّ... لا تحزنا من هذا الأمر (قطع ساقه المريضة بالمنشار)، ولا يضعُف إيمانكما، بسبب هذا الوضع، لأن الله لا يُجرِّب بالشر (يع ١٣:١) بل علي العكس، فإنه ينتظر النتيجة المُبهجة من عمله فينا» (إمتحانه لنا) وقد قال القديس بولس:

«إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨:٢٨)٠ وقال مار إسحق السُرياني: «إن التجارب أبواب للمواهب»٠

+ وأضاف القديس اسطفانوس قائلاً باتضاع: (والطبيب يبتر ساقه وهو يجدل الخوص في نفس الوقت)!! «في مرات عديدة سابقة تم الحُكم علي تلك الأعضاء بالعقاب التي تستحقه، وأما هذه المرة فقد استحقت الأعضاء عقاباً أشد (من الأول) وأنه من الأفضل أن تنال جزاءها هنا (في الدنيا) بدلاً من أن تُعاقب (بشدة)، بعد الرحيل للعالم الآخر {هنا العقاب مخفف ومؤقت، وأما في القيامة فهناك عذاب أبدي وشديد للروح والجسد} .

+ وقد قال القديس بولس: «نُؤدّب مع العالم، لكي لا نُدَان مع الناس»٠

+ ثم ذكر القديسان أمونيوس ومار أغريس أنه «بعدما

تكلم معنا القديس اسطفانوس، وعزانا (بدرس عملي وروحي) صرّفنا بسلام وقال: **«لا تتضايقا، عندما تشاهدا تجارياً من هذا القبيل للقديسين، لأن الرب يسندنا ويعزينا في وقت المتاعب»** {وقد قال المرنم: «كثيرة هي بلايا (أحزان) الصدّيقين، ومن جميعها يُنجيهم الرب»، وذكر الرسول بولس الحكيم، والمُختبر للألم المبارك، أنه كلما كثرت الآلام، زادت معها التعزيات والسلام، وأكد علي أن الألم من أجل المسيح **بَرَكَة عُظمي** «فيلبي ١:٢٩»} فهل نعي هذا الدرس؟!. بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(٧) سيرة القديس بوسيدونيوس الصعيدي السائح

• رعاية الله الكاملة:

+ يروي القديس بلاديوس عن هذا القديس (Possidonius) كثيراً من الصفات والأمور الجميلة، وإنه كان رقيقاً (متواضعاً) ومحتملاً وبسيطاً.



+ وإنه قد عاش معه – في بيت لحم – لمدة عام في ديره: «الرُّعَاة» بالقرب من المدينة، قبل أن يتوحّد في البريّة. وأعلن له إنه لم يتحدث مع أحد **لمدة سنة كاملة** (كتدريب عملي علي الصمت، وقد مارسه القديسان أرسانيوس وأغاثون) وتفرغ للوحدة مع اللّه.

+ وإنه لم يأكل الخبز، بل كان يأكل قلب النخيل (الجُمّار) المنقوع في الماء، وإن وجد عسلاً برياً كان يأكل منه.

+ وذكر القديس له أيضا: ذات مرة لم يجد لديه طعاماً، وعاني بشدة من الجوع لأيام كثيرة، ولم يطلب من الله أن يُطعمه!!

+ ولما حاول السير من قلايته، في البرية، لأقرب سكن لرهبان، لم يستطع لضعفه أن يقطع سوي ميلين، طوال سيره ليوم كامل، ثم رقد علي الأرض، فتحنن عليه الرب، وأرسل له فارسا بحصان وفوق رأسه خوذة كالجنود الرومان، فحمله خلفه، وأعاده الي

مغارته في الصحراء.

+ ولما دخل القديس إليها وجد بداخلها سلة مملوءة بالفاكهة!!، فأكل وتقوّي وشكر الله علي عطاياه.

+ ومن الغريب أن هذا الطعام قد كفاه لمدة شهرين!!

• بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٨) سيرتا القديسين السائحين ديوكليس وكابيتون

• **القديس ديوكليس** (Diocles):

+ كان مُعلِماً يجيد اللغة والفلسفة اليونانية. ولما كان عمره ٢٨ سنة فكّر بحكمة في مستقبلة الأبدي، ولمس قلبه محبة الرب، فقرر أن يتفرّغ لحياة التكريس والعبادة، فترك دار العلوم العالمية، وعاش مع الله في مغارة بالجبل لمدة ٣٥ سنة!!

+ وقد ترك لنا ذخيرة من الكلمات الروحية، والتي تُهّم شباب الجيل المعاصر، فقال:

* «إن الذهن الذي لا يتأمل (ينشغل) باستمرار في الله، يسقط في الشهوة» (وبالطبع فإن «مخ الكسلان، معمل للشيطان»).

+ وقد ذكر القديس بلاديوس أنه قال له: «إن الشهوة من طبيعة (غريزة) الوحوش والبهائم، وأن من يُهمل التأملات الروحية (القراءات + الإجتماعات الروحية...الخ)، إما أن يصير شيطاناً (يدفع الناس للسقوط في الدنس) أو يصير بهيمة» (تغلبه شهوته).

+ «ولما سألناه عن قصده من هذا الكلام قال:

* «إن من يبعد عن التفكير في الله، لابُد أن يُسّيطر عليه شيطان الشهوة (اللهو – العبث – الإدمان) أو ينقاد إلي شيطان الغضب، والشرور الأخري التي تتولّد منها الشهوات البهيمية».

+ ثم سألته: «كيف يمكن للذهن البشري أن يحيا مع

الله باستمرار؟!» فقال: «إن العقل الذي يفكر في الله، أو يعمل (في عمله) في مخافة الله (بأمانة) يكون مع الله» [= المهمّ أن ينشغل الذهن دائماً بعمل نافع، ولا يعطي الفُرصة للفكر الشيطاني الشرير].

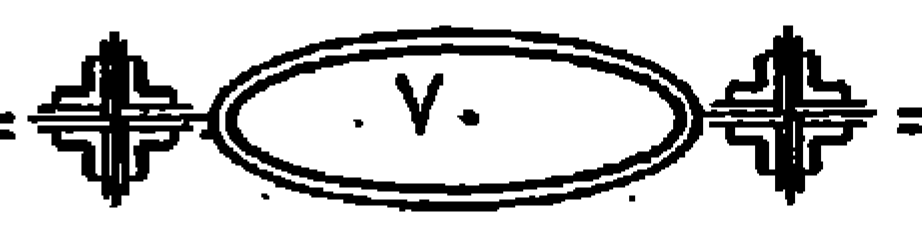
القديس كابيتون (Kapiton)

+ وكان يعيش في البرية بالقُرب من صديقه القديس **«ديوكليس»**.

+ وكان في الأصل لصاً شريراً، ولكنه ندم علي شره وتاب عن فعله (والعبُرة دائماً بالنهاية الجميلة وليس بالبداية الفاسدة).

+ وقد عاش في شقوق الأرض، عابداً الله بدموع لمدة ٥٠ سنة متواصلة،في مكان صحراوي يبعد عن أنتينوي (Antinoé = ملوي) بنحو ٦ كيومترات.

+ وظل في مغارته نصف القرن الكامل، موضحاً أنه لن يذهب إلي أناسٍ (عصابة من أصدقاء فاسدين) كان يحاربه بهم عدو الخير (ويذكر الآباء أن حلقات



السقوط ثلاثة: المكان = الظروف = الأشخاص الأشرار، والحكيم هو الذي لا يتقيد بأية حلقة منهم).

✣ ✣ ✣

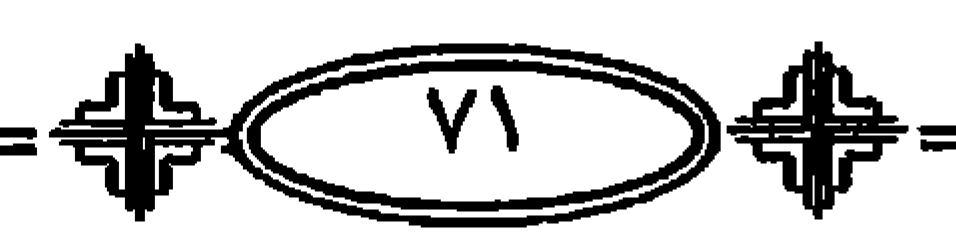
(٩) سير القديسين إلبيديوس وآستاثيوس وسيسنيوس السواح

• القديس إلبيدوس (Elpidius):

+ روي عنه القديس بلاديوس أنه عاش في مغارة بالقُرب من أريحا (في فلسطين) وكان من كبادوكية (بآسيا الصغري).

+ وقد جاهد في تلك المغارة جهاداً طويلاً وصبر علي حروب الشياطين لمدة ٢٥ سنة. وكان يصوم ويفطر يوميَّ السبت والأحد فقط، وكان يقضي الليل كله، في الصلاة وتسبيح الله.

+ «وبينما كنت معه وكان يصلي، لدغتة عقرب، فداسها بقدمه وقتلها، ولم يتحرك من مكانه، أو يشكو ألماً مثل أي شخص يعاني من لدغة عقرب.



+ وذات يوم كان معه أخ يسمي «أنسيوس» (Aenesius) قد وجد فرعاً من شجرة مع القديس إلبيدوس، وكان جالساً علي حافة الجبل، فحفر الأخ حفرة في الصخر، ووضع فيها الفرع، ولكنه نما رغم إنه لم يكن أوان الزراعة، وغطت أوراق الكرمة كنيسة الجبل المجاورة!!

• القديس استاثيوس (Eustathius):

+ وكان أخو القديس إلبيدوس. وعاش شديد الزهد والتقشف حتي صار جلداً علي عظم، من كثرة الجهاد الروحي.

+ وظل مختفياً في قلايته في ظل الجبل العالي، فلم يكن يري الشمس بالنهار ولا النجوم بالليل.

+ وإستمر مداوماً علي العبادة الحارة – في المغارة – لمدة ٢٥ سنة، ولم ينزل مطلقاً من الجبل طوال هذه المدة، لأن قلبه كان متعلقاً بحب الرب طول الوقت، الي أن رقد بسلام في الرب.



● **القديس سيسنيوس (Sisinius):**

+ وكان تلميذاً للقديس إلبيدوس. وكان عبداً بالمولد، ولكنه كان حراً بالإيمان المسيحي. وقد حبس نفسه في قبر ٣ سنوات، وجاهد وأحتمل المتاعب الشيطانية الكثيرة، فأنتصر بمعونة الله.

+ وكان في جهاده الروحي الشديد لا يجلس، ولا يرقد ليلاً أو نهاراً، ولم يخرج من قبره، وعاش حياة الطهارة ومحبة الغرباء والفقر الشديد. فلم يمتلك شيئاً من حطام الدنيا، رغم رسامته كاهناً. وكان مثالاً عملياً في كرمه للأغنياء البخلاء في العطاء.

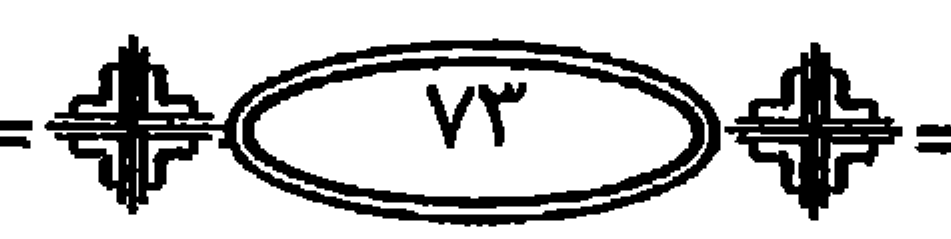
* بركة صلواتهم وشفاعتهم تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(١٠) سيرة القديس إيليا السائح

● **بركة الرب تُغني:**

+ يروي القديس بلاديوس - في بستانه - أن القديس



إيليا (Elijah) قد عاش طول حياته في مغارة في البرية، وإنه قد قضي باقي عمره فيها، في جهاد روحي عظيم، فاستحق المديح من السيد المسيح.

+ ويذكر بلاديوس أيضاً «إننا زُرناه – مع ٢٠ راهباً – في مغارته، وإنه اعتذر لنا، لعدم وجود طعام، ولكننا وجدنا ثلاثة أرغفة طرية، أرسلها الله لنا!! فلما صلينا مع القديس وأكلنا وشبعنا، من رغيفين إثنين فقط ؛ وأما الرغيف الثالث فقد تركناه له،

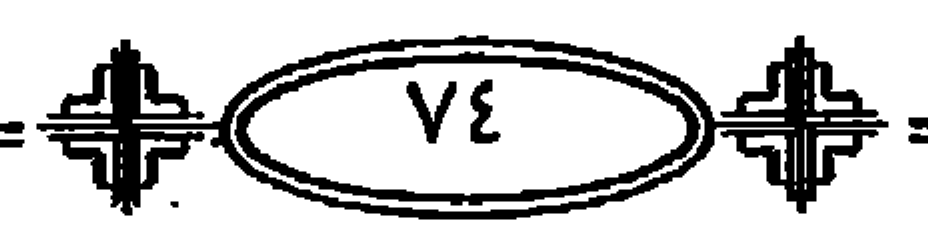
+ وقال لنا أحد الإخوة (الرهبان) أن القديس ظل يأكل منه ويشبع لمدة ٢٥ يوماً أخري، فما أجمل البساطة والخضوع التام لتدبير الله الصالح، لكل مؤمن مجاهد. بركة صلاته وشفاعته تكون معنا. آمين

✣ ✣ ✣

(١١) سيرة القديس السينائي السائح

لقاءات في جوف سيناء:

+ روي القديس بلاديوس عن راهب كان يقيم علي ساحل سيناء (علي خليج السويس) وقد قال له ما يلي:



+ «فكرّتُ أن أدخل البرية الجوانية، لأعرف السُوَّاح المقيمين بها، فسرت في صحراء سيناء أربعة أيام بلياليها. وأخيراً وجدت مغارة، ورأيت شخصاً جالساً بها.

+ «فقرعت علي الباب، ولكنه لم يتحرك من مكانه، فدخلت وأكتشفت إنه كان ميتاً، فوضّعت يدي علي كتفه فصار رماداً. فخرجت وسرت إلي مكانٍ آخر في الصحراء».

+ فرأيت مغارة أخري ودخلت فلم أجد أحداً بها، وكان بجوارها آثار أقدام، فقلت لنفسي «سيأتي صاحبها» وعند حلول المساء رأيت قطيعاً من الجاموس الوحشي، وكان وسطهم شخص بلا ملابس، وقد كساه الشعر وستر عورته».

+ «ولما رآني وقف يصلي، ظناً منه أنني كنت روحاً (شريراً)، ولكنني أفهمته أنني إنسان،فرحُب بي قلبياً، وأدخلني الي مغارته. وسألني: «لماذا أتيت الي

هنا؟!». فقلت له: «لكي أنال بركة رجال الله. واليوم لم يحرمني الرب من رغبتي».

+ ولما سألته عن كيفية وجوده في هذا المكان، قال لي: «كنت في دير، وجاءني فكر أن أعيش وحدي، وكان عملي غزل الكتان».

+ «وقمت بتنفيذ الفكرة، وبدأ عدو الخير يحاربني، فقد أرسل لي عذراء معينة بقصد شراء شغلي، وحرك الشيطان قلبها نحو الشهوة فاعتادت أن تأتي إليٍّ وتتكلم بكلمات غير روحية، ثم ضحكت وأمسكت بيدي، فسقطت معها في الدنس ، وظللت علي ذلك مدة ٦ أشهر».

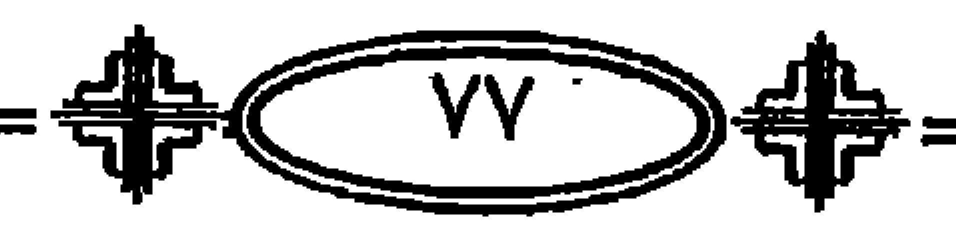
+«ثم بكتني ضميري بشدة، وفكرت إنني سأموت اليوم أو غداً وسيكون عقابي الأبدي شديداً.فهربت وتركت كل شيء، وجئت إلي هذه المغارة، بجوار نبع الماء والنخلة.آكل منها، ونما شعري حتي غطي كل جسمي، وأعيش في هذا المكان وحدي منذ ٣٠ سنة»!! .



+ «ثم سألته: «ألم يضطرب فكرك هنا؟! فقال لي: «لقد تعبت كثيراً . وكنت ألقي بنفسي علي الأرض بسبب ألم الكبد، ولم استطع أن أقف علي قدمي للصلاة، بل كنت أتضرع إلي الله - وأنا راقد علي اللأرض - ليرحمني من المرض، الي أن جاءني رجل (ملاك) وشفاني. ثم قال لي: «هاقد برئت، فأخدم المسيح إلهك، كما يليق به». فعشت بلا ألم منذ تلك الساعة».

+ وبعد ذلك طلب منه الضيف أن يقيم في المغارة، التي وجد فيها الشخص الميت، فقال لي:«لن تستطيع احتمال حروب الشياطين»، ولما علمت آنه علي حق ، ناشدته آن يصلي من أجلي، وأن يصرفني بسلام، وأخذت درساً في أن الله يؤدّب الخاطيء، ولكنه يقبل توبته، ويرحمه في أبديته» (له الشكر الدائم علي رحمته ومحبته).

✣ ✣ ✣



(١٢) سيرة الأسقف السائح

• حلاوة التوبة مع الجهاد الروحي:

+ يقول القديس بلاديوس: «إن قديساً شيخاً حدثني عن شخص دخل الي جوف الصحراء ورأى هناك قديساً عظيماً، وقد سمعت من شخص آخر أنه هو نفسه بطل هذه القصة، وكان ذلك اتضاعاً منه، وقال لي ما يلي»:–

+ «ذات مرة، اشتقت أن أدخل الي البرية الجوانية، لأري كيف يتعبَّد السواح هناك. فأخذت معي ماءً وطعاماً يكفي لمدة أربعة أيام. وبدأت رحلتي في جوف الصحراء. وبعد أربعة أيام نفد الطعام، فسلمت أمري إلي الله. ثم سرت ٤ أيام أخري في البرّية، ثم لم أعد أقدر أن أقف لضعفي من جوعي وتعبي».

+ «وخارت قُوَاي، وألقَّيتُ بنفسي علي الارض، فإذا بشخص (ملاك) يأتي ويُمَّرر أُصبعه علي شفتيّ؛ فتشددت، وذهب عني الاعياء والجوع»!!

+ "ثم سرت أربعة أيام أخري، فشعرت .بالإنهاك مرة أخري، فصلّيتُ وإذا بالرجل نفسه (الملاك) جاء يشددني. فواصلت رحلتي داخل الصحراء لمدة ٧ أيام، إلي أن وجدت عشة ونخلة ونبع ماء بجوارها!!".

+ "ورأيت رجلاً بشعر أبيض. ولما رآني تغطّي ووقف يصلي، وقلت أنا «آمين» فأدرك إنني إنسان».

+ «فأمسك بيدي وسألني: «كيف أتيت إلي ههنا؟!» وهل لا يزال العالم في وثنية؟! وهل المسيحيون يُضطهدون». فقلت له «لقد جئت إليك بفضل صلواتك، وأن إضطهاد المسيحيين قد إنتهي» (٣١٣م).

+ «ثم سألته عن كيفية وصوله إلي هذا المكان البعيد!! وبعد تنُّهد ودموع كثيرة، أعلن إنه كان أسقفاً لمدينة معينة (ولم يرد أن يذكرها أو يذكر إسمه)، وإنه لم يحتمل شدة الإضطهاد (الروماني) فضحّي للأوثان. ثم قال «وعندما فكرت ندمت، بعدما أدركت مدي الجُرْم الكبير الذي إرتكبته، وجئت للصحراء، لكي أموت فيها»!!

+ ثم أضاف الأسقف قائلاً: «لقد مرت عليّ هنا ٤٩ سنة في تضرُّع ودموع، وتوسُّل للرب يسوع، ليسامحني علي حماقتي، ويغفر لي خطيتي، وقد أحياني الله حتي الأن، وأعطاني هذه النخلة لآكل منها».

+ ثم دخل إلي عشته وصلي عدة ساعات، ولما خرج وتطلّعت إلي وجهه، كان وجهه أحمر كالنار. فما رآني ارتعبت، قال لي: «لا تخف لأن الرب قد أرسلك لتواري جسدي التراب». ثم تنيّح.

+ «فأخذت الرداء الذي آلبسه وقطعته قطعتين، ثم قمت بتكفينه في نصفه، وتغطيت بالنصف الآخر».

+ «وبمجرد أن دفنته جفّت النخلة (ماتت) وسقطت العشة علي الأرض، وكنت أتمني أن أعيش هناك، ولكنني أدركت أنه ليس من إرادة الله أن أظل هناك، ثم جاء الرجل (الملاك) وأرجعني إلي ديري.

+ وحكيت للرهبان هذه السيرة، حتي لا ييأس أحد من خلاص نفسه، بل بالتوبة والدموع والصبر في الجهاد

الروحي يقبل الله النفس الخاطئة، ويسامحها عن كل ما فعلت» (وهو درس هام لكل يائس من رحمة الله).

✣ ✣ ✣

(١٣) سيرة البتول السائحة في جوف الأرض

• آلام حادة حتي نهاية العُمْر:

+ سجّل القديس بلاديوس في بستانه أنه كانت مجموعة كبيرة من آباء وادي النطرون تسير في البرية، فسمعت صوت مريض يتألم ويئن بشدة. وكان صادراً من مكانٍ ما في جوف الأرض!!

+ فما فتشوا عن مصدر الأنين، وجدوا ممراً يقود إلي كهف سُفلي. فلما هبطوا إليه، إكتشفوا به عذراء مباركة، ترقد علي الأرض، وتتألم بشدة!!

+ فسألها الآباء «يأماه، متي جئتِ إلي ههنا؟ ومَنْ الذي يخدمكِ؟!» فأعلنت لهم إنها قضت وحدها – في هذه



المغـارة - ٣٨ سنة، وكـانت تتناول أعـشـاب البـرية وتشـرب من الندي. وقد جـاءت إليـهـا لكي تعيش مع الله.

+ ثم قـالت لهم: «إنني لم أرَ إنسـاناً إلي هذا اليوم، وقـد أرسلكم الله لي اليوم لتكفيني، وتدفنونني»!!

+ وبعـدمـا نطقت بهـذه الكلمـات رقـدت في الرب، وإسـتـراحت من آلام العـالم الدائمـة. فـمـجـد الآباء الرب، الذي سـمح لهـا ببـركـة الألم. وصلوا عليـهـا ودفنوا جسـدها الطاهـر، وأسـتـمروا في مـسـيرتهم (وهذه السـائحة نموذج حي لكل متألم في عالم اليوم).

+ وإن كنا لا نعرف إسـمـهـا لكن يكفي إنه مـسـجل في سفر الحياة الأبدية.

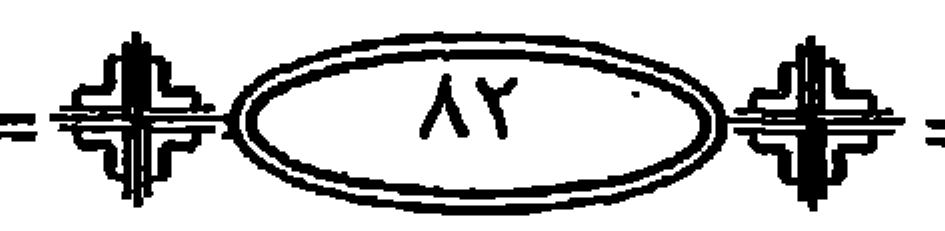
* بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(١٤) سيرة القديس أمونيوس السائح

● **حياة التكريس:**

+ وُلِدَ هذا القـديس سنة ٢٩٤م، في قـرية قـرب مـريوط.



وكان مثل زميله القديس أنبا أنطونيوس الكبير – من أسرة مسيحية غنية في المال والنعمة.

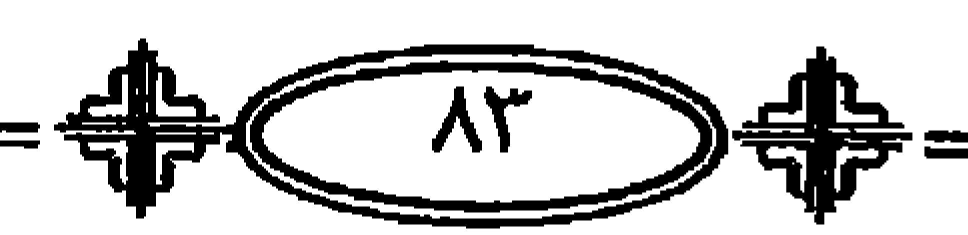
+ وقد رحل والده وهو صغير فرباه عمه. وكانت كل إشتياقات قلبه متجهة لحياة البتولية والتكريس، غير أن عمه زوجّه علي غير إرادته، لأنه كان يطيعه.

+ ولما إلتقي بعروسه إستطاع بسيرته الطاهرة أن يؤّثر عليها ليعيشا معا في حياة بتولية، وغرس في قلبها الميل إلي تكريس النفس لتكون عروساً للمسيح. وقد لبثا علي هذا الحال ١٧ سنة، وبعدها إنتقلت الزوجة إلي الدار الأبدية.

+ ثم رآي – في حلم – أن القديس أنطونيوس يدعوه إلي لبس إسكيم الرهبنة، فذهب وتتلمذ علي يديه، ثم بني له مغارة في تونة الجبل (بالمنيا). وهناك أجهد نفسه بعبادات كثيرة.

• **التغلب علي عدو الخير:**

+ ولما رآه إبليس مجاهداً مع النعمة زاد في حربه له.



فقد أتاه – في شكل راهبة – وقرع بابه – فلما فتح القديس، طلب أن يصليا معا، فتحوّل الشيطان إلي لهيب نار، وإختفي خازياً.

+ ثم دفع عدو الخير إمرأة، وأغراها لتقع في الدنس مع القديس. فإرتدت أفخر ثيابها، وأتت إلي مغارته عند الغروب، وقرعت الباب، متذرعة بأنها ضلت الطريق، وقد حل الليل. ثم قالت له بمكر: «لا تدعني خارج مغارتك، لئلا تأكلني وحوش البّرية، وتكون مُطَالَباً بذمي أمام الله».

+ فعطف عليها واستقبلها. وبعد ذلك بدأت تقيم حرب الشهوة عليه، فعرف مكيدة الشيطان الذي أرسلها لتكون فخاً له. فأخذ يوبخها ويُذكرها بعذاب جهنم الشديد والدائم، وجمال التوبة والحياة الأبدية السعيدة مع المسيح (**فالمسيح يقود للخير، لا ينقاد** للشر، ولا للأشرار، ويهاجم لا يستسلم).

+ فلمست النعمة قلبها، وخرّت عند قدميه باكيةً وراجيةً

أن يساعدها علي خلاص نفسها من حياة الدنس والفساد، التي كانت تسلكها لطاعة عدو الخير.

+ فألبسها ثوباً خشناً (من شعر الماعز) وقص شعرها، وسماها «**الساذجة**» (naïve) وعلمّها طريق الله والفضيلة.فسارت في النعمة، بالصوم الكثير والصلوات مع الدموع. ومكثت معه في المغارة، في مكان مُنعزل عنه.

+ ثم عاد إبليس ليُثير عليه الحرب، غيظاً من إفلات المرأة الشريرة من يده. فلبس زي الراهب، ومضي إلي الدير، وأشاع وسط الرهبان أن الأنبا أمونيوس الناسك قد فسد، إذ تزوج بإمرأة- وإنها معه فعلاً في مغارته بالجبل.

+ فقام القديس أبوللو والقديس يوساب والقديس نوهي، ومضوا الي مغارة القديس أمونيوس بالجبل لكشف الأمر. فلما قرعوا الباب، وفتحت لهم المرأة، تأكدوا من صحة الإشاعة، ولكنهم دخلوا وصمتوا، وصلّوا

كالعادة، ثم جلسوا يتحدثون عن عمل الله العظيم إلي آخر النهار.

+ فقال لهم القديس أمونيوس: "تعالوا لتروا السائحة، لأنها تخبز لنا خبزاً. فلما مضوا إليها، وجدوها تصلي - وسط اللهيب الشديد - ويداها مبسوطتان نحو السماء، فتعجبوا من هذا المنظر، ومجدوا الله في سماه، علي رحمته ورضاه.

+ وبعدما أكلوا، إنفرد كل واحد لينام. وظهر ملاك الرب - في حلم - للأنبا أبوللو، وعرفه بسيرة المرأة التائبة، المقيمة مع القديس أمونيوس، كأخت فاضلة، وأن الله قد أرسلهم إلي مغارة القديس أمونيوس لكي يشاركوا في الصلاة عليها بعد نياحتها حالاً.

+ وقد تم قول الملاك، إذ أنه نحو الساعة الثالثة ليلاً (٩مساءٍ) أعترت المرأة حُميً شديدة، فسجدت للرب، وأسلمت روحها الطاهرة بيد الرب. فكفنوها، وبعد الصلاة دفنوها.

+ ثم شرَح لهم القديس أمونيوس سيرتها وفضائلها وجهادها من أجل خلاص نفسها، وأنها كانت تصوم وتأكل الخبز والملح فقط، صلواتها تكون معنا، آمين.

+ وقد قاد القديس أمونيوس رهباناً كثيرين، وظل معهم إلي أن تنيّح بسلام (سنة ٣٥٧م) بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

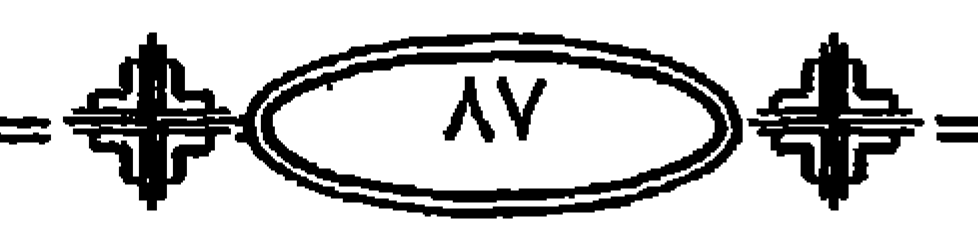
✠ ✠ ✠

(١٥) سيرة القديس أبانُفر السائح

• لقاء الأحياء في جوف الصحراء:

+ اشتاق القديس بفنوتيوس (ببنودة) أن يري رجال الله من السواح في البرية، فحقّق اللّه مُراده، وقاده الي بعضهم. وكتب سيرهم، ومنهم هذا القديس.

+ فلما توغل في قلب الصحراء الليبية، وجد عين ماء ونخلة، ورأي القديس «أبانفر» (= سعيد) مقبلاً نحوه، وكان عرياناً، لبلّي ثيابه من طول البقاء في الصحراء، وكان شعر رأسه ولحيته يستران جسده.



+فلما رآه أنبا بفنوتيوس ظنه روحاً شريراً، ولكن القديس شجعَّه، وصلي معه الصلاه الربانية، ورشمه بعلامة الصليب، ثم قال له: «مرحباً بك **يابفنوتيوس**»!!

+ فلما ناداه بإسمه هدأً من خوفه، ثم صليا وجلسا يتحدثان بعظائم الله، وبركاته وعطاياه.

+ ثم سأله الأنبا بفنوتيوس أن يُعرّفه بعضاً عن سيرته، وكيف وصل إلي هذا المكان؟! فقال له: «إنني كنت أتعبَّد للرب في دير رهبان قديسين. فسمعتهم – ذات مرة – يصفون سُوَّاح البرّية بصفات جميلة. فقلت لهم: «**هل يوجد أفضل منكم** ؟!»

+ فأجابوا «نعم، سكان البرية من السوّاح؛ لأننا قريبون من الناس. إن تّعبنا وجدنا من يعزّينا ويساعدنا، وإن مرضنّا وجدنا من يعالجنا ويفتقدنا، وأن تعرّينا وجدنا من يكسونا. أما سكان البراري، فليس لهم شيء من مثل ذلك» (اتكال كامل علي الله).

+ وكتب أنبا بفنوتيوس – في مذكراته – «ولما حل الليل أخذت قليلاً من الخبز الجاف، وخرجت من الدير، وصليّت في الطريق، ليهديني السيد المسيح، إلي مكان أُقيم فيه. فسهّل لي الرب أن وجدت رجلاً قديساً في البرية».

+ «فبقيت عنده – عدة أيام – وعلمني كيف أعيش سائحاً في البرية. فسرّتُ في جوف الصحراء حتي وجدت هذه النخلة وهذه العين، وأنا لي اليوم – ٦٠ سنة لم أرَ فيها وجهه إنسان سواك».

+ ثم يذكر الأنبا بفنوتيوس أنه بينما كان يتحدث مع القديس أبانفر جاءه ملاك الرب ، وأعلمه بقُرب رحيله من العالم. وفي الحال تغيّر لونه، وصار شبه نار.

+ ثم أحني ركبتيه وسجد للرب، وشكره عي بركاته، وعلي حياته معه ورعايته له في البرية القاحلة.

+ وبعدما ودّع ضيفه، أسلم روحه الطاهرة بيد الرب المحب. فكفنه القديس بفنوتيوس، ودفنه في مغارته.

ثم رغب أن يقيم في مكانه، فوجد إن النخلة جفت وسقطت، ونشفت مياه العين. فأدرك أنها إرادة الله ليعود إلي ديره ويُحدِّث بما رآه من سواح البرية وحياتهم التي تمجّد الله. بركة صلواتهم وشفاعتهم تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(١٦) سيرة القديس أنبا كرآس السائح

• لقاء الأحبّاء:

+ سيرة هذا السائح العظيم «أنبا كرأس» (Cyrus) خير درس لكل نفس تنشغل بالله، في حياة تكريس كامل للقلب والذهن.

+ وقد كان شقيق الملك البيزنطي الأرثوذكسي ثيؤدوسيوس (الكبير) [Theodosius] (٣٧٩ - ٣٩٥). وقد قادته حكمته الروحية إلي التأمل في العالم وفساده، وغُربة الإنسان، ورحيله من العالم فجأة، كما يحدث للملايين في هذا العالم

الحزين، فيضيعون المستقبل الأبدي والأرضي الوقتي ويعيشون في شقاء دائم في الدارين.

+ وظل يتأمل تساؤل الفادي: «ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله خسر نفسه؟! أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟!»

+ فقام أنبا كرّاس ووزع كل أمواله الكثيرة علي الفقراء والمساكين، وخرج سراً من القصر الملكي. وأرشده الرب إلي الذهاب إلي صحراء مصر الغربية، حيث قضي هناك سنوات عديدة في العبادة، ولم يُبصِر بها أي إنسان.

+ ثم قاد الله إليه القديس أنبا «بموا»، الذي اشتهي أن يري أحد سواح المسيح. فسار في البرية. وكان كل واحد منهم يلّقاه هناك، كان يقول له إنه يوجد من هو أكثر توغلاً منه في البرية الجوانية.

++ ويذكر أوليري أنه لما سار في الصحراء وجد قلاية راهب يُدعي «إيراكس» (Hierax) عاش في وحدة ١٨

سنة.وكان طعامه التمر، ثم سار فوجد أنبا بامون (Pamoun) وكان يرتدي الخِرق التي لم يخلعها من جسده منذ ٢٠ عاماً. وكان يتمني أن يتم دفنه بها في قبره!!

+ وأخيراً وصل إلي القديس الأنبا كرآس. فناداه من داخل مغارته (لأن الروح القدس أعلمه به) وقال: «أهلاً بالأنبا بموا، قس برية شيهيت» (وادي النطرون).

+ وبعدما سلّم عليه الضيف، سأله الأنبا كرآس السائح عن أحوال العالم والولاة والمؤمنين، فأخبره بها. ولما حل المساء صلي القديس كرآس كثيراً، وسجد علي الأرض وشكر الله علي معونته ورعايته، ثم أسلم روحه الطاهرة بيد الرب المُحب هكذا:

* إذ بينما كان أنبا بموا معه، زاره السيد المسيح. وفي أثناء ذلك حدث زلزال كبير، وبدأت الصخور تتشقق، ولكنه طمأن ضيفه الخائف. وأعلن له إن

الأنبـا شـــنودة رئيس المتـوحـدين قـد تنيَّح في ذلك اليوم، وتنيح القديس كرآس في اليوم التالي (٨ آبيب).

+ فكفنه الأنبا بموا في عباءته. وصلي عليه، ورجع إلي ديره، مُخبراً بسيرته، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

+ وهكذا ترك القديس كرآس مجد العالم الزائل، لينال مجد السماء الدائم إلي الأبد.

✠ ✠ ✠

(١٧) سيرة القديس بلامون السائح

● **حروب روحية شديدة:**

+ عاش هذا القديس في الجبل الشرقي بقنا، وقد شدَّد إبليس من حروبه له. وذات مرة أتعبه حتي أنه حمل عمل يديه القليل ليبيعه، فأضله في الجبل، وظل هناك ٧ أيام، وكان الوقت صيفاً، فقارب علي الموت من شدة الجوع والعطش.

+ ووقع مغشياً عليه. فلجأ الي طلب معونة الله. فسمع صوتاً يُعزّيه ويقول له: «لا تخف يابلامون، فإن العدو لن يقوِّي عليك. قم وإمشِ قليلاً نحو الشمال (قبلي) وستجد شيخاً يُدعَي «**تلاصون**»، وهو مُقيم في قلعة قديمة».

+ فقام وسار وهو يتلو المزمور ٥٣ قائلاً: «اللهُمَّ بإسمك خلصّني، اسمع يارب صلاتي، وأنصت الي كلمات فمي...». ولم يتوقف عن الصلاة – وطلب معونة الله – حتي هداه الي مكان القديس الأنبا تلاصون.

+ فحدثه عن تجارب الشيطان. فعزاّه وقال له: «ياولدي، الرب يغفرلك ولنا». **وعند ذلك نزلت مائدة من السماء**، ثم أكلا. وعاد القديس بلامون الي موضع عبادته بسلام، وشبع من غذاء الروح والجسد.

+ وظل مداوماً علي النُسك والعبادة ومداوماً طوال حياته علي الصلوات الليلة والنهارية، وكانت لها بركاتها.

+ فقد نال القديس بلامون موهبة شفاء الأمراض – من

الله – وكانت الوحوش تأتي إليه، فيُطعمها بيده، وكانت تلحس قدميه. وكان يعيش في البرية عارياً، فأطال الله شعره حتي ستر جسمه كله.

+ وكان يصوم أسبوعاً أسبوعاً، ولا يفطر إلا يومي السبت والأحد، يأكل نصف رغيف، كان يرسله الله له **مع الغراب** (مثل القديس الأنبا بولا أول السواح). وكان يأكل أيضاً من عُشب الجبل، ويشرب القليل من الماء، ويشكر الرب علي رعايته الكاملة.

+ وكان رحيماً وحنوناً، مُتشبهاً بالرب يسوع. وكان عندما يحل الليل يفتقد المساكين والمساجين، ويوزع من ثمن ما تصنعه يداه، علي الأيتام والأرامل والغُرباء، ويُعّزي المتضايقين في هذا الكوكب الشقي الحزين.

+ وقد تتلمذ علي يديه القديس **باخوميوس** (أب الشركة)، إذ بعد إيمانه وتعميده – في سن العشرين – أراد أن يعيش ناسكاً ومُتوحداً. فمضي إلي القديس الشيخ بلامون في الجبل، طالباً مشورته الصالحة.

+ فتطلع إليه القديس من الكوة (النافذة) بالقلاية. وأعلن له صعوبة الرهبنة وقال له «إن الرهبنة ليست من الأعمال السهلة، ولا يأتي إليها الإنسان كيفما إتفق، لأن كثيرين إلتجأوا إليها وهم يجهلون أتعابها. ولما صاروا فيها، لم يستطيعوا الصبر عليها، وأنت قد سمعت عنها ، دون أن تعرف جهادها».

+ فأجابه الشاب باخوميوس: «اتردُّ سؤالي ورغبتي؟ بل اقبلّني وتمّهل عليَّ وجربّني، وبعد ذلك إفعل بي كل مايبدو لك».

+ فقال له الشيخ: «إمضِ ياولدي، وجرّب نفسك – وحدك – وقتاً ما، ثم إرجع، وأنا مستعد أن أتعب معك ، حسب مقدار ضعفي، حتي تعرف ذاتك وحدك، لأن الرهبنة تحتاج إلي خشونة (جدية وجهاد طويل) وزُهد وتقشُّف، وأنا أُعلّمك أولاً مقدارها».

+ ثم أضاف القديس قائلاً: «ونحن لما عرفنا من الدنيا غرورها وحيلّها، وصلنا الي هذا المكان، وحملنا علي

عاتقنا صليب مسيحنا، عن طريق تدريب الجسد وقمع شهواته. ونقضي الليل ساهرين في الصلاة وفي تمجيد الله، ونعمل بأيدينا لنقاوم النوم طول الليل، ولنقوم بحاجة أجسادنا وإطعام المساكين».

+ واستطرد قائلاً: «وأما أكل الطعام المطبوخ والزيت وشرب الخمر فلا نعرفة أبداً. ونصوم إلي المساء في نهار الصيف،، وفي الشتاء يومين يومين، ونفُطر علي خبز وملح لا غير، ونبتعد عن الملل بتذكار الموت والشعور بقُرب الأجل (الرحيل السريع للعالم الآخر).

+. «ونهزم بالنُسك والإتضاع كل كبرياء وإرتفاع، ونحرس أنفسنا من المواجهة (أفكار إبليس) الرديئة – وبهذا الجهاد النُسكي المُكمّل بمعونة الله – جل إسمه – نقدم أرواحنا ضحية نقية وذبيحة مرّضية – دفعات عديدة – لننال المواهب الروحية، مُتذكرّين قول الرب: «إن الذين يقهرون ذواتهم، يختطفون ملكوت السموات» (وهو خير وصف لنُسّاك هذا العصر، ودرس عملي لكل من يُفكّر جدياً في التكريس).

+ ولما سمع باخوميوس من الشيخ بلامون هذه الكلمات التي لم يسمع مثلها، لم ييأس من سلوك طريق ملكوت الضّيق، وقال: «إنني أثق بالمسيح الإله أولاً، وبمساعدة صلواتك ثانياً، سأقّوي علي تأدية وسائط النعمة، وأصبر معك حتي الممات».

+ عندئذٍ إنحني الشاب أمامه وقّبل يديه. فأرشده الشيخ إلي ضرورة الجهاد، لإماتة رغبات الجسد، ولتواضع القلب وإنسحاقه. وأكد له إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل الملكوت (أع ١٤:٢٢).

+ ولما تأكد القديس من صبره وإجتهاده وعزيمته، صلي عليه، وقص شعره، وألبسه إسكيم الرهبنة سنة ٣٠٤م. وصارا يصليان ويشغلان الفراغ بالغزل والنسج، لشراء حاجتهما الضروريةٍ، ويوزعان الباقي علي المساكين.

+ وبعد ٧ سنين من الجهاد معاً في البرية، ظهر ملاك الرب للقديس باخوميوس. وأمره ببناء دير في

طبـانسين (دندرة بقنا) ثم قـال له الشـيخ: «سـأذهب معك».

+ ولما فـرغ باخـوميوس من بناء الدير قـال له القـديس: «أعلم أيها الأبن الحبيب أن نفسي تنازعني بالعودة إلي قلايتي ومكان توحدي (في البرية)، وقد عرفت أن الله يساعدك في بناء الدير، وأما أنا فقد كبرت في السن. ولا تحرمني من رؤياك من وقت لآخر».

+ وفي إحدي الزيارات مرض الشيخ بلامون مرض الموت وتنيح في ١٥ أبيب سنة ٣١٦م. فكفّنه القـديس باخـومـيوس، بعد أن تزوّد ببـركـاته. صلواتهـما وشفاعتهما تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(١٨) سيرة القديسة مريم القبطية السائحة

• مراحم الله العظيمة:

+ وُلدت هذه القـديسـة في الإسكندرية سنة ٣٤٥م من أبوين مسيحيين. ولما تنيّحا، خدعها إبليس وجرّها لحياة الدنس، حتي أهلكت نفوساً كثيرة بعثراتها.

+ ومكثت علي حياة النجاسة ١٧ سنة، حتي أدركتها محبة الله الغافرة. فقد سمعت إن قوماً سيزورون أورشليم (القدس) فسافرت معهم وهي بدنسها، ولما لم يكن معها أجرة السفر في البحر، أسلمت جسدها لأصحاب السفينة، في مقابل السفر.

+ ومع ذلك أطال الله أناته عليها، حتي وصلت للأرض المقدسة، وفيها كانت تفعل ماإعتادت عليه من دنس مع الأشرار، ليل نهار!!

+ ولما أرادت دخول كنيسة القيامة - وسط جمهور الزوار - شعرت بقوة خفية تجذبها إلي الخلف. وكانت كلما أرادت الدخول - كباقي الناس - تشعر بمن يمنعها.

+ فأدركت أن ذلك يرجع إلي نجاستها!! فرفعت عينيها إلي السماء - وهي منكسرة القلب - وبكت بدموع غزيرة، مستشفعة بأم النور، لكي تطلب من إبنها الحبيب أن يرحمها من شرورها.

+ ثم تشجعت وسارت مع الداخلين الي داخل القبر المقدس، فلم تجد مانعاً كما سبق، وتقدمت وسجدت إلي الرب، طالبة أن يُرشدها إلي ما فيه من خلاص لنفسها من دنسها.

+ كما وقفت عند أيقونة أم النور وتشفعت بها، فأتاها صوت يقول: «إذا عبرتِ نهر الأردن (شرقاً) تجدين راحة وطمأنينة».فأطاعت الصوت.

+ وفي الطريق قابلها إنسان حنون، وأعطاها ٣ دراهم أشترت بها ثلاثة أرغفة، ثم مضت إلي كنيسة قريبة من نهر الأردن، وأعترفت بما إقترفت وتناولت، ثم عبرت إلي صحراء شرق الأردن، حيث عاشت ٤٧ سنة وحدها، منها ١٧ سنة وهي تُحارَب من عدو الخير، الذي كان يُذكّرها بشهواتها والأطعمة اللذيذة والأغاني العالمية، ولكن بنعمة الله مع الصلاة والصوم تخلصت من تلك الأفكار.

+ وكانت تقتات – طوال هذه السنوات – من أعشاب البّرية!!

+ وفي السنة ٤٥ لنياحتها، خرج القديس زوسيما القس من ديره - قرب نهر الأردن - حسب عادة رهبانه للأختلاء بالرب في الصحراء طوال مدة الصوم الكبير.

+ وبينما كان هناك، رأي هذه القديسة من بعيد، فظنها حرباً من الشيطان. وصلي إلي الله ليكشف له هذا الأمر، فألهمه إنه إنسان، فأراد اللحاق به، فكان يهرب من أمامه.

+ فلما رأت القديسة أنه لا يكُّف عن تعقبّها، نادته من وراء تل وقالت: «يازوسيما..إن شئت أن تكلمني، فالقِ رداءً أستتر به، لأني عارية»!

+ فألقي لها ما أستترت به، فجاءت إليه وسلمّت عليه؛ وطلبت منه أن يصلي لها، لأنه كان كاهناً، فتعجب من معرفتها به وبخدمته وبإسمه!!

+ ثم سألها عن سيرتها. فحكت له كل ما فعلته إلي ذلك الوقت، ثم إلتمست منه، أن يُحضر معه - في العام التالي - القُربان المقدس، لكي يناولها منه.

+ وفي نفس وقت الصوم المقدس حضر إليها، وناولها من الأسرار المقدسة، ثم قدّم لها بعض حبات التمر (البلح) والعدس. فأخذت بعض حبات العدس المبلول كبرَكة. وسألته أن يعود في العام المقبل.

+ ولما حضر في نفس الموعد رآها راقدة علي الرمل، وقد فارقت الحياة، ورأي أسداً واقفاً بجوارها، وعند رأسها مكتوب: «**إدفن مريم المسكينة في التراب، الذي أُخِذَت منه**». وبذلك عرف اسمها .

+ وفيما هو مُفكِر في كيفية دفنها، حفر الأسد حفرة، وصلي أنبا زوسيما ودفنها، وعاد الي ديره وأخبر رهبانه. وكان عمرها ٧٦ عاماً (سنة ٤٢١م). بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(١٩) سيرة القديس سمعان العمودي السائح

- **تعزيات السماء:**

+ كان هذا القديس في طفولته يرعي غنم أبيه – في



سوريا - وكان مواظباً علي حضور القداسات، فإشتاق إلي الرهبنة. فمضي إلي دير، ومكث به يتعبد للرب بنُسكٍ شديد، وصومٍ طويل.

+ وشد وسطه بحبل فدخل في لحمه، وتعطن. فصارت رائحته كريهة. فلما تضايق الرهبان من رائحته، ترك الدير وعاش في جُبٍ بلا ماء.

+ فظهرت رؤيا لرئيس الدير، وسمع من يقول له: «أُطلب عبدي سمعان». ففتشوا عليه، حتي وجدوه في الجب بلا طعام ولا شراب - فاعترفوا له بخطئهم، وطلبوا أن يصفح عنهم، وأتوا به إلي الدير.

+ فهرب من المجد الباطل (تعظيم قدره) وقضي علي صخرة مرتفعة ٦٠ يوم بلا نوم، فجاءه ملاك الرب، ودعاه لخلاص الناس، فصعد علي عمود إرتفاعه ٣٠ ذراعاً وظل عليه مدة ١٥ سنة. وكان يعظ الناس من أعلي، ويصنع لهم معجزات كثيرة.

+ وقد حسده إبليس، فضرَبه في ساقه، فتقيحت وسقط

الدود منها. ومع ذلك ظل يتعبّد علي عامود أطول، لمدة ٣٠ سنة متواصلة.

+ وبعدما عبّد الرب بحب – لمدة ٤٨ سنة – رقد في الرب بسلام، فجاء بطريرك سوريا وحمل جسده إلي إنطاكيا بإكرام. برَكة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٢٠) سيرة القديس أغاثون العمودي السائح

● **التقليد الصالح:**

+ كان هذا القديس من مدينة تانيس (صان الحجر بالشرقية)، وكان والداه مطرا ومريم مُحبّين لفعل الخير. وقد لازم الكنيسة، ثم إشتاق للرهبنة، وتتلمذ علي يد القديسين إبرام وجوارجي.

+ ونظراً لأنه داوم علي قراءة سيرة القديس سمعان العمودي (السابق الإشارة إليها) فقد ذهب إلي

ضواحي سخا (بكفر الشيخ حالياً) وأقام له عموداً، وعاش فوقه متعبداً مثله٠

+ وعمل معجزات كثيرة، ثم تنيّح في عُمر المائة عام، منها ٥٠ سنة فوق العمود٠

* بَركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

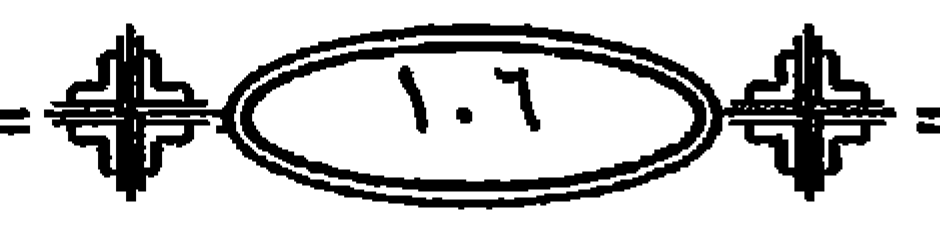
✠ ✠ ✠

(٢١) سيرة القديس لوقا العمودي السائح

• جهاد في العلاء حتي الرحيل للسماء:

+ كان هذا القديس من بلاد فارس (العجم = إيران) من أبوين مسيحيين٠ وتجنّد الي أن صار قائد مائة، ثم مال للوحدة مع الرب، فترهبن بدير هناك، ثم رسموه قساً، فخدم الرب بأمانة٠

+ وكان يصوم الإسبوع كله، ويفطر يوم الأحد بعد القداس، متناولاً قربانة صغيرة فقط، مع بعض البقول الخضراء.



+ثم أقام علي صخرة عالية – مدة ٣ سنوات – ثم دعاه الله لخدمة زائرية في المنطقة الجبلية التي عاش فيها.

+ ثم أوحي اليه الله بالذهاب إلي موضع مرتفع قرب القسطنطينية، حيث عاش مُتعبداً علي صخرة، علي شكل عمود (Stylite) لمدة ٤٥ سنة متواصلة .

+ وأعطاه الله موهبة شفاء المرضي. وذات مرة (يوم ١٥ كيهك) ذهب إليه تلميذه فوجده قد رقد في هذا المكان العالي، فأخبر الآباء، فجاءوا وصلّوا عليه. وأظهر الله من جسده الطاهر آيات كثيرة، برَكة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(٢٢) سيرة القديس أنبا هدرا الأسواني السائح

• سلوك طريق البتولية:

+ كان من أبوين مسيحيين مباركين، علّماه مخافة الله منذ صغره. وفي سن ١٨ سنة أرادا آن يُزوّجاه من



إحدي قريباته. ولكنه أراد آن يحفظ بتوليته، فتذرّع بالمرض. فلم يقبل أهله عُذرَه.

+ وفي صباح يوم الزواج مضي إلي الكنيسة مبكراً، وصلي طالباً أن يُسمِعُه الله من قراءات ذلك اليوم مايتفق مع ميله (البتولية) فسمع ما أراد وإستراح قلبه (لحياة التكريس).

+ وبعد القداس رأي ميتاً محمولاً إلي قبره – فسار مع أهله إلي المقابر – وكان يُحدّث نفسه بآنه قد مات مثله (عن محبة العالم الفاني)، وبعد الدفن ذهب إلي الدير، فجاءه أقاربه مُعبّرين عن حزنهم وحُزن خطيبته، وأعلنوا له أنه يمكنه أن يعبد الله في ظل حياته الزوجية، ولكنهم لم يفلحوا في إرجاعه عن تصميمه الأكيد علي الرهبنة.

+ وجاهد في عبادة حارة تحت إشراف القديس أنبا بيمن. وبعد ٨ سنوات أستأذنه، وتوغل في جوف الصحراء، حيث أقام في مغارة. وقام بدراسة سيرة

الأنبا أنطونيوس ليتعلم منها كيفية محاربة الشياطين (= بالحكمة + الإتضاع + الصلوات والصوم).

+ وبالطبع كان لابُد أن يحاربه عدوالخير (ابن سيراخ ١:٢)، حتي إنه ظهر له وفي يده سيفاً يريد قتله به، فصرَخ إلي الله، فهرب منه إبليس خازياً.

+ وذات مرة أدخل له الشيطان تنيناً (ثعباناً) ضخماً في مغارته، فصلي إلي الله، فانشّق إلي ثلاثة أجزاء وهلك.

+ وكان يأتي إليه المرضي فيدهنهم بزيت ويصلي لهم. وكان الله يشفيهم بشفاعته. ولما تنيَّح أسقف أسوان أخذوه - رغماً عنه - إلي البابا ثاوفيلس (٣٨٥ - ٤١٢م) حيث رسمه أسقفاً لأسوان. فعكف علي وعظ شعبه، والصلاة من أجلهم. وصنع لهم معجزات كثيرة. وسار في سيرة فاضلة الي أن رقد في الرب بسلام. برَكة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٢٣) سيرة القديسة آبولونيريا السائحة

• الهروب من أمجاد العالم:

+ كانت هذه القديسة إبنة الحاكم الروماني المبارك آنثيميوس. وقد أرادت أن تعيش حياة البتولية المكرسة. فزارت أورشليم. ثم توجهت إلي الأسكندرية، حيث آشترت زياً للرجال، وسافرت الي كنيسة القديس مارمينا (العجايبي) بمريوط.

+ وبعد ذلك صرفت خادمتها وحراسها، وبقيت وحدها (بعدما لبست ملابس الرجال) حتي تَغيّر شكلها من لدغات البعوض الكثير هناك.

+ ثم قابلت القديس أبومقار الكبير[١]، وعرفّته أن إسمها (الرجالي) هو «دوروثيئوس» (Dorotheos) وعاشت متعبدة وحدها في قلاية بالصحراء. ونمت جداً في النعمة؛ فأعطاها الله موهبة شفاء المرضي.

---

(١) في رأي شينو أنه القديس مكاريوس الإسكندري. راجع كتاب «بستان القديسين» (ترجمتنا – نشر المحبة) ص١٤.

+ وأرسل الإمبراطور إبنته، التي دخلها روح نجس، إلي وادي النطرون بمصر، لكي يخرجه الآباء الأقباط بصلواتهم. فأرسلوها إلي أختها فعرفتها . وصلت لها فخرج منها الروح الشرير.

+ ودبّر عدو الخير خطة للإساءة الي أبولونيريا. فقد نفخ بطن أختها بمرض، حتي ظهرت كأنها حامل. ولما سألها أبوها الامبراطور عن ذلك ذكرت أنها كانت تنام مع الراهب دوروثيؤس. فغضب وأمر بإستدعائه وسؤاله عن هذا الأمر!

+ فاضطرت القديسة أن تكشف له عن سرها، وإنها إبنته، ففرح بها (كما حدث في سيرة القديسة إيلاريا، التي سيأتي ذكرها).

+ وبعد إلحاح منها عادت (في زي الرجال) وأعتكفت للعبادة، إلي أن تنيّحت، وأكتشف الرهبان أنها كانت فتاة، عند دفنها. بَركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

(٢٤) سيرة القديسة إيلاريا السائحة

• تحقيق الرغبة المقدسة:

+ كانت هذه القديسة إبنة الملك البيزنطي «**زينون**»، وقد أحبّت البتولية وتأثرت بسيرة وجهاد ٤٩ شهيداً شيوخ شيهيت (وادي النطرون) فقررت أن تعيش بجوارهم في البرية المصرية.

+ وهربت سراً من مباهج القصر، وإرتدت زي رجل من الحرس. وسافرت في الخفاء في سفينة – إلي الإسكنرية، ثم طلبت من شماس يُدعي «تادرس» (Theodore) أن يوّصلها إلي وادي النطرون. وأعطته المال المناسب لتدبير لوازم الرحلة الشاقة.

+ وهناك تقابلت بالقديس **أنبا بموا**، وعرفتّه بهدفها. فأعلن لها صعوبة الحياة في البرية، وأنه من الأفضل لها أن تترّهب بدير الزجاج، وهو علي أطراف الإسكندرية، وحيث الحياة أسهل والجو أفضل.

+ إلا أن البتول –المتزينة بزي الرجال – عقدت العزم



علي البقاء في الصحراء، رغم عدم مناسبتها للنساء، ولاسيما أولئك اللواتي عشن في حياة ترف زائد. فعاشت في قلاية منفردة، ودعاها الرهبان «إيلاري الخصي» (Eunuch) لأن لحيتها لم تنُبت.

+ ولما إشتد مرض أختها ثيؤبستا (=المؤمنة بالله) أرسلها أبوها الملك زينون (Zeno) إلي البرية المصرية ، بعدما صرّعها الشيطان في القسطنطينية ولم يخرج منها.

+ فأرسلها الآباء إلي الراهب إيلاري. فبقيت عند إيلاريا لمدة ٧ أيام، وعرفت أنها أختها. وبصلواتها وشفاعتها أخرَج الرَب منها الروح النجس.

+ ولما عادت الأخت سالمة، وأخبرت والدها أنها كانت تعيش في قلاية الراهب إيلاري، شك في الأمر، وأمر بإستدعاء هذا الراهب، لسؤاله عن سبب نوم إبنته في نفس فراشه!!

+ فلما ذهبت القديسة إلي القسطنطينية مُرغمة،



إضطرت آن تكشف لأبيها شخصيتها، منعاً من العثرة، بعدما تعهَّد بالإستجابة لكل طلباتهما، ومنها العودة إلي البرِّية المصرية.

+ فقد تركها تعود. وأهتم ببناء قلالي للرهبان الأقباط وإرسال موؤنة سنوية لهم من القمح والزيت.

+ وقد مكثت القديسة السائحة - تجاهد مع النعمة - لمدة ١٢ سنة، إلي أن تنيحت بسلام. وكانت قد طلبت من الأنبا بموا أن يدفنوها بملابسها بدون تغسيل جسدها، بعد نياحتها، ولم يتضح للرهبان أنها فتاة، إلا عند دفنها. صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٢٥) سيرة القديسة أنسطاسيا السائحة

• عروس للمسيح وحده:

+ كانت هذه العذراء من القسطنطينية، وكانت رائعة



الجمال، لهذا آراد الإمبراطور جستنيان (منتصف قرن ٦م) أن يتزوجها، لأنه هَامَ بجمالها، رغم أنه كان متزوجاً!! فأعلمت البتول الإمبراطورة بقصد زوجها.

+ فقامت بإرسالها سراً - في سفينة - إلي الإسكندرية، حيث بنت لها ديراً بالقُرب منها. ولما علم الإمبراطور الشرير بمكانها، أرسل في طلبها، فهربت – في زي الرجال – إلي وادي النطرون، حيث إلتقت بالقديس الأنبا دنيال القمص، وكشفت له الأمر كله.

+ فأبقاها في مغارة في البرية للعبادة. وأمر أحد الشيوخ الرهبان بأن يملأ لها جرّة ماء، ويتركها عند باب المغارة كل أسبوع. وكانت البتول تجاهد الشياطين بالصوم والصلوات وباقي وسائط النعمة (حيث يذكر أوليري أنها كانت تذهب للدير، للتناول من السر الأقدس. وهو ما لم يرد في مصدر آخر»[1].

(1) O'Leary, The Saints of Egypt.

(راجع ترجمتنا العربية – طبعة المحبة – ص ٥٩ – ٦٠).

+ وكانت تكتب أفكارها وطلباتها علي شقّفة من الخزف وترسلها للقديس أنبا دانيال. وقبل نياحتها، أعلمها الرب بساعتها، فأرسلت كتابة للقديس وقالت: «أَحضِر الأدوات وتعَالَ». ففهم قصدها، وحمل لها الأسرار المقدسة وناولها. وعند دفنها أكتشف الراهب المرافق له إنها فتاة. صلواتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٢٦) سيرة القديس إسيذيروس الفرمي السائح

• رجل العلم والروحانية:

+ كان أبواه من الأغنياء في المال وفي النعمة. وقد تعلَّم علوم العالم والعلوم الدينية. وأجاد اللغة اليونانية. ومع ذلك كان متضعاً وحكيماً. كما كان من أقارب كل من القدّيسين البابا ثاوفيلس، والبابا كيرلس الكبير (عمود الدين).

+ وقد تم ترشيحه لتولّي الكرسي المرقسي الإسكندري، ولكنه هرب إلي جبل الفرما - في سيناء - حيث ترهّب في دير هناك، ثم توحّد في مغارة، سنوات طويلة في تأمل وعبادة وعلم روحي.



+ وقد عكف في سياحته علي تأليف عدة كتب روحية، والرَّد علي تساؤلات كثيرة، أظهرت خبرته الكبيرة بالنواحي الدينية، وقد بلغت الرسائل التي أرسلها للبطاركة والأساقفة والرهبان نحو ١٨٠٠٠ رسالة (وقد ذكرنا نصوص بعضها[١] رداً علي تساؤلات صديقه الأنبا سينسيوس المطران المصري لبنتابوليس، في أوائل القرن الخامس) وقد إمتازت كتاباته بالعمق في الروحانية والإيجاز،والمنطق العقلي والنقلي.

* وقد تنيَّح سنة ٤٥٠م، برَكة صلواته تكون معنا، آمين.

+ + +

(٢٧) سيرة القديس يوحنا الأسيوطي السائح

• وحِدة مع الخدمة للشعب:

+ كان هذا القديس إبناً لوالدين صالحين. وقد تعلمّ حرفة النجارة (مثل السيد المسيح). وفي سن ٢٥ سنة

---

(١) راجع كتابنا عن كنيسة الخمس مدن الغربية ص ٤٥١ – ٤٥٣ بمكتبة المحبة.



هاجر بلدته «Lycopolis» (أسيوط) ومضي لكي يترهّب بوادي النطرون.

+ وقضي وقتاً طويلاً متتلمذاً علي يد شيخ قديس. ثم أمرَه ملاك الرب بالعودة إلي بلدته. فجاء وعاش سائحاً فوق جبل قريب من أسيوط. وهناك بني له الرهبان قلايته. فدخل فيها وأغلق علي نفسه، وظل بها ٤٢ سنة متعبداً بعمق وبجهاد عظيم.

+ وكان يلتقي بالزوار ويتحدَّث معهم، من خلال طاقة (نافذة) في قلايته المغلقة عليه.

+ وقد زاره هناك القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين، وخاله القديس أنبا بيجُول والقديس أنبا إشعياء.

+ وقد أعطاه الله موهبة التنبؤ بالمستقبل. فدعاه الناس بأسم «النبي» (Prophet) . وكان الإمبراطور ثيؤدوسيوس الارثوذكسي (الكبير) يستشيره في أمور كثيرة تتعلق بالحروب وغيرها، وكانت كل

نبوءاته تصدُق دائماً. كما صنع معجزات كثيرة هناك.

+ وقد زاره القديسان «بلاديوس وچيروم» وأدلي لهما بأحاديث روحية نافعة (نشرناها بالتفصيل في كتابنا المترجم بعنوان: «بستان القديسين»، طبعة المحبة، ص ٤٢٠ + ٥٥٢).

+ ولما قامت اضطرابات في مدينة أسيوط في زمانه، أرسل الامبراطور ثيؤدوسيوس قوات، لإخماد الثورة هناك. ولما القديس طلب لقاء القائد البيزنطي، جاءه مع حاكم آنتينوي (ملوي). فتحدث معهما القديس يوحنا بكلمات مملوءة نعمة وحكمة. فاستجابا لندائه، وتوقفا عن مُهَاجمة سكان أسيوط. كما بعث للإمبراطور ثيؤدوسيوس برسالة. وبشفاعته صفح عن المدينة.

+ وقد عاش القديس يوحنا الاسيوطي ٤٢ سنة في القلاية المغلقة - علي الجبل - ثم تنيَّح بسلام عام ٣٩٤م، صلواته تكون معنا، آمين.

+++

(٢٨) سيرة القديسة مريم الراهبة والسائحة

• أفضلية حياة الوحدة مع الرب:

+ كانت هذه القديسة جميلة الروح والجسد وغنية في المال. إذا كان والداها من أشـراف الإسكندرية. وطلب كثيرون الزواج بها، ولكنها فضّلت حياة البتولية، كعروس مكرسة قلبها للمسيح.

+ وبعد نياحة والديها، قامت بتوزيع ميراثها علي الفقراء والمحتاجين، وترهبت لمدة ١٥ سنة. ثم قضت ٢٢ سنة أخري في قلاية مُغَلقة، ظلت حبيسة بها. وكانت تمارس الصوم يومين يومين. وفي خلال أيام الصوم الكبير، كانت تصوم انقطاعياً، وتفطر كل ثلاثة أيام، علي القليل من البقول المنقوعة في الماء.

+ وفي يوم ٢١ طوبة (عيد الغطاس المجيد)، طلبت القليل من الماء المقدس، المُصلّي عليه (ماء اللقان) وغسلت به يديّها ووجهها. ثم تناولت من الأسرار المقدسة، وهي داخل حبسها، ثم مرضت مرض الموت.

+ وقامت بتوديع الأخوات الراهبات، وأعلنت لهن صراحةً أنها سوف ترحل عنهن إلي السماء في اليوم الثالث للقاء (٢٤ طوبة) وهو ما حدث بالفعل، حيث تنيَّحت بسلام في ذلك اليوم، بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٢٩) سيرة القديس أنبا بيچيمي السائح

● دعوة من السماء للتكريس:

+ كان هذا القديس في سن الثانية عشرة، وقد ظهر له ملاك الرب – وهو يرعي الغنم – في شكل صبي مثله، وقال له: «دعنا نصير رهباناً»!!

+ فوافقه ورافقه إلي وادي النطرون، حيث إلتقيا بثلاثة رهبان من الشيوخ، وافقوا علي الرهبنة (رغم صغر سنهم)، ثم غاب الملاك عن الصبي بيچيمي، وظل مقيماً مع هؤلاء الآباء الحُكَماء ٢٤ سنة، إلي أن تنيحوا بسلام.



+ ثمّ توغل في قلب الصحراء، وظل مسافراً لمدة ٣ أيام، إلي أن إستقر في مكان. وهناك حاربته الشياطين، حيث كانت تظهر له في شكل وحوش برية وثعابين ضخمة لترعُبه، ولكنه عرف بالروح أنها مجرد خيالات، ولذلك صلي بإيمان، فتبدّدت مناظرها. ولم تتجاسر أن تظهر له مرة أخري.

+ وأقام ثلاث سنوات في البرية الجوانية. وقد تدّرب علي الصوم أسبوعاً أسبوعاً، ثم يأكل القليل من التمر (البلح) ويشرب القليل من الماء.

+ ويذكر السنكسار القبطي أنه صام - ذات مرة - ٤٠ يوما. ثم صام ٨٠ يوماً متواصلة، مرة أخري ؛ حتي إلتصق جلده بعظامه، فأتي له ملاك الرب، وأعطاه خبزاً. ولم يفرغ الخبز من عنده سنوات كثيرة!!

+ كما يذكر العلاّمة الإنجليزي - أوليري - إنه كان يصلي بالليل ٢٤٠٠ صلاة قصيرة، والعديد من الصلوات بالنهار!!

+ وقد ظهر له السيد المسيح، وأمره أن يعود الي بلدته (فيشة)، حيث إستخدمه في خلاص نفوس كثيرة كانت تأتي إليه – في قلايته – خارج بلدته.

+ ثم نقله ملاك الرب الي فاران (فيران) بسيناء، حيث كسب الكثير من البدو للإيمان المسيحي.

+ وذكر السنكسار إنه حمل شُغل يديه، ومضي ليبيعه فتعب جداً من السير طويلاً علي قدميه – في الريف – فأرسل الله له ملاكه الذي حمله الي جهة مقصده.

+ وقد زاره القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، حيث أرشده الله الي موضعه، ومكث معه أياماً في تسبيح وتأمل في عظائم الله.

+ ولما أحس برحيله دعا خادمه، وأعلن له خبر إنتقاله، وأمره بدفن جسده في مكانه، بينما حملت جوقة من الملائكة روحه الطاهرة الي الفردوس. بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٣٠) سيرة القديسة سارة السائحة

● **تقليد مفيد:**

+ كانت هذه القديسة الحكيمة من الصعيد، وكان أبواها غنيين في المال وفي النعمة. ولم يكن لهما سواها. وقد ربياها - منذ صغرها- علي الجدّية، وعلي الإرتباط بوسائط النعمة، فشبَّت علي محبتها وممارستها.

+ كما داومت علي قراءة الكتاب المقدس، والكتب الروحية وتاريخ الكنيسة، وأحبت سير الشهداء والقديسين المكرسين - من الجنسين - فاشتاقت الي الحياة النُسّكية مثلهم.

+ فذهبت الي دير للراهبات بالصعيد، وعاشت فيه تخدم كل الراهبات، حتي اقتنت فضائل الطاعة والوداعة والإحتمال. ثم ظلت تجاهد مدة ١٣ سنة.

+ وقد أقام عليها عدو الخير حرباً شديدة بالدنس، ولكنها إنتصرت بمعونة الله، وبجهادها المستميت، وخاصةً بالصوم والصلاة (وهو درس هام لكل شباب اليوم).

+ ثم بدأ الشيطان يحاربها بداء الكبرياء (الإفتخار بالإنتصارفي حرب الشهوة). فقد ظهر لها – وهي تصلي – علي سطح قلايتها وقال لها: «بُشراكِ... فقد غلبتي الشيطان»!

+ فأجابته باتضاع: «إنني إمرأة ضعيفة، فلا أستطيع أن أغلبك، إلا بقوة ربنا يسوع المسيح». فهرب من أمامها.

+ وقد ظلت القديسة سارة تجاهد – من أجل خلاص نفسها – لمدة ٦٠ سنة. ولم يبصرها أحد خلالها!!

+ وقد كانت حكيمة في إستعدادها للقاء بالرب، في أية لحظة، وقالت: «إنني لا أضع رجليّ علي درجة السلَّم إلا وأتصورّ إنني أموت، قبل أن أرفعها وأضعها علي الدرجة التالية، حتي لا يُغرّيني العدو بالأمل في حياة أطول».

+ كما قالت أيضاً: «جيَّد للإنسان أن يعمل الرحمة (الصَدَقة) ولو إرضاءً للناس (أمامهم أو سماع

مدحهم) وسيأتي وقت تكون فيه (الصدقة) من أجل مرضاة الله» (فعل الخير أفضل علي أية حال من عدم فعله، خوفاً من المجد الباطل).

+ ثم رحلت الي عالم الراحة والفرح الدائم - صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(٣١) سيرة القديسة ثيؤدورا السائحة

• احتمال الظلم بصبر وفرح وشكر:

+ يذكر أوليري أنها عاشت في أيام الامبراطور البيزنطي زينون Zeno (٤٧٤ - ٤٩١م)، وأشـــار إلي أن إنساناً قاسياً أمسكها، **رغماً عنها**، واعتدي عليها. فوضعت طفلاً ذكراً!!

+ ثم إرتدت ملابس الرجال، واختفت فيها. وعملت خادمة في دير غير معروف، ومع ذلك أثار عليها عدو الخير الحرب الروحية، مرة أخري.



+ فقد تم إتهامها بفعل الدنس مع إمرأة مُعّينة. ولم يشك أحد هناك أنها أنثي، ومع ذلك لم تكشف عن ذلك، بل ذهبت في هدوء - بعد طردها من الدير - الي البرّية، حيث عاشت مع طفلها المسكين، في نسك وجهاد روحي طويل، عدة سنوات.

+ وأخيراً تأثر رئيس الدير بما سمعه من جهادها الروحي العظيم. فأشفق عليها، وسمح لها بالعودة إلي الدير (كما حدث للقديسة مارينا الراهبة).

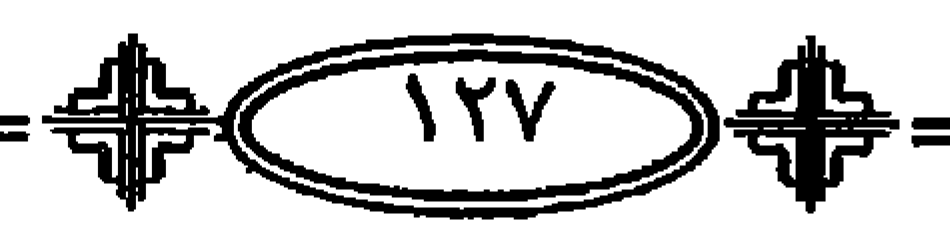
+ وظلت تجاهد في صمت، الي أن رقدت في الرب. وقد اكتشفوا جنسها (أنثي) وتذكّروا الظلم الشديد، الذي تحملته دون تذمر. بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٣٢) سيرة القديسة ثيؤبستا السائحة

● وحدة كاملة مع الله دون سواه:

+ كانت القديسة ثيؤبستا Theopista (= المؤمنة بالله)



قد تزوجت وأنجبت طفلاً، ثم رقد زوجها في الرب.

+ وقررت تكريس وقتها وقلبها وحياتها كلها للرب. فواظبت علي الأصوام والصلوات والمطانيات (السجدات) ليل نهار.

+ ثم ذهبت للقديس مكاريوس أسقف نيقيوس (بالمنوفية) وطلبت منه أن ترتدي ثوب الرهبنة. فأشار عليها أن تُدرّب نفسها أولاً، قبل التكريس الكامل، ثم بعد ذلك يُلبسها ثوب الرهبنة.

+ فذهبت إلي بيتها؛ وحبست نفسها في حجرة صغيرة، وسدت بابها، وتركت فيها طاقة (نافذة) صغيرة كان إبنها الصغير (١٢سنة) يقدم لها منها إحتياجتها، ويستمع إلي مشورتها وإرشادها.

+ وهكذا عاشت في عبادة وزُهد، وتسابيح دائمة لله.

+ ونسي الأسقف ماوعدها به، بعد إنقضاء عام في تدريب روحي ونُسكي!!



+ وفيما هو نائم – ذات ليلة – رأي القديسة ثيؤبستا – بهيئة نورانية، وهي تسأله وتقول: «كيف نسيتني – يا أبي – الي الآن؟! وأنا سأتنيح في هذه الليلة!!».

+ ورأي الأسقف كأنه قام من نومه، وصلي عليها – صلاة الرهبنة – وأنه ألبسها زي الرهبنة. كما أعطاها قلنسوتة (لعدم العثور علي واحدة عنده). وإنها قامت – بدورها – بإهدائه صليباً جميلاً!! ولما قام القديس من نومه وجد صليبها في يده!!

+ فأسرع الي بيتها – مع تلميذه – فقابله إبنها وهو يبكي!! ولما سأله الأب الأسقف عن سبب بكائه، قال لنيافته: «إن أمي ودعتني الليلة وقالت لي إنها سوف تتنيح وتذهب إلي السيد المسيح». ثم قالت: «مهما أشار به الأب الأسقف إفعله».

+ وأضاف الصبي قائلاً: «ثم صلّت أمي ودعت لي

بالبرَكة، وطلبت مني أن أحفظ (أُنفّذ) كل ما أوصتني به».

+ ولما ذهب القديس مكاريوس الأسقف الي موضع حجرتها المُغلقة، أمر تلميذه بفتح الباب، لعدم وجود صوت للقديسة بداخلها!!

+ فوجدها قد تنيَّحت، وهي مرتدية الإسكيم، الذي ألبسه لها -كما حدث في الرؤيا - كما وجدها ترتدي قلنسوته التي وضعها فوق رأسها (أثناء نفس الرؤيا). فبكي ومجّد الله، ودفنها بإكرام.

+ وقد ظهر من جسدها الطاهر، معجزات كثيرة وباهرة، ومنها أن رجلاً وثنياً مُقعَداً، لما إقترب من جسدها، شُفي في الحال، وقام علي رجليه، فآمن بالمسيح - مع كل أهله - وعمدهم الأسقف. بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٣٣) سيرة القديس تيموثاوس السائح

• الهرب من مكان العثرة:

+ وُلِدِ هذا القديس من أبوين محبين للمسيح. فربياه حسب تعاليم الرب، فنشأ في محبة الله، منذ صغره وعمل ما يرضاه.

+ ولما إشتاق لحياة البتولية والتكريس الكامل في الرهبنة مضي الي الدير. ثم إنفرد في قلايته، بالقرب منه.

+ وكما هي العادة دائماً كان لابُد أن يحاربه إبليس. فقد ظهر له في شكل راهبة، جاءت لتشتري منه شغل يديه، وتثير الحرب عليه، فأكتشف القديس - بنعمة الروح القدس - حيلة إبليس،

+ وتذكرّ الموت والدينونة الرهيبة التي تنتظر كل من يفكر في الخطية - أو يفعل الدنس - فهرب الي البرية الجوانية، حيث عاش سائحاً، بجوار عين ماء، وبجوارها نخلة يأكل من ثمرها ويشكر اللّه علي نعمته وبركاته.

+ وقد ظل عابداً الرب ليل نهار، وممارساً النُسك بدرجة عالية، حتي كانت وحوش البرية الضارية تأتي وتجلس معه، وتؤنس وحدته. وأطال الله شعر جسده، فأغناه عن الملابس. وبعد جهاد روحي طويل استراح وتنيحً، ومضي إلي الفرح الأبدي. بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

+ + +

(٣٤) سيرة القديسة سينكليتيني السائحة

• محبة الرب من كل القلب:

+ كانت هذه الفتاة تتمتع بالمال والجمال، مما جذب إليها أنظار الخاطبين، ولكنها مالت إلي حياة البتولية والنُسك والعبادة. ولما تنيّح والدها وزعت أملاكها علي المحتاجين، وتركت قصرها الفخم وأخذت أختها الصُغرَي، وعاشا معاً في مقبرة، خارج الإسكندرية.

+ وظلت القديسة هناك سنوات طويلة، دون أن يشعر بها أحد. ولما اكتشفت صاحباتها القُدَامَي مكانها، قلدّنها



في سكنها بالمقابر الموحشة، ومنهن من أعتكف فـي بيوتهن للعبادة المُكرّسة.

+ وكانت تنصح تلميذاتها القديسات الصغيرات بالزُهد في مباهج العالم، وضرورة اللجوء إلي الصلاة والصوم، والعفة الكاملة، والفقر الأختياري، بما لا يدع مجالاً لمحاربات الشيطان.

+ وبدأت حياتها الرهبانية بأن طلبت من قس مُسن أن يقص شعرها، كعلامة علي ترك العالم. وكانت تنام علي الرخام البارد ليلاً. وظلت تكتفي بالخبز والماء فقط، حتي بلغت سن الثمانين.

+ وفي هذا العُمر المُتقدّم عاود الشيطان حربه ضدها - بسماح من الله كما فعل مع أيوب - فأُصيبت بالسرطان. وزادت آلامها، ومعها الجروح المُتقيّحة، وتفتت عظام فكها، وسقطت أسنانها، وأنتشر المرض الخبيث في جسمها. فأمتنعت عن الأكل والنوم في الثلاثة الأشهر الأخيرة من حياتها.

وكـانت لا تشكو مـن الألـم، بل كـانت شـاكـرة علي التجربة الصعبة!

+ وقبل نياحتـها بثـلاثة أيام رأت - في رؤيا سمـاوية - مـلائكةً نورانيـين، وعذاري حكيـمـات ، يدعـونـهـا أن ترحل معهم للسماء.

+ وبعد هذه الروَيا المباركة، أضاء وجـهها بـهالة من النور الربانـي، ودخلت في حـالة من الفَرَح الإلهي. وفـقـدت إحساسها بمن حولها . وأستراحت في الفردوس، من آلام العالم. بركة صواتها وشفاعتها تكون معنا ، آمين .

✣ ✣ ✣

(٣٥) سيرة القديس نيلامون السائح

• الخدمة في السماء أفضل:

+ كان هذا القـديس ناسكاً . وكـان يسكن فـي مـغارة في جنوب الفرما (بسيناء)، وكان يسدّ مدخلها بالحـجارة إتقاءً لأذي الوحوش البرية.



+ وقد عَلِم الشعب بحكمته وتقواه. (فرشحوه) ليقوم البابا ثاوفيلس (في أوائل القرن ٥م) برسماته أسقفاً علي مدينةٍ ما بشمال الدلتا.

+ وأصطحب البابا بعض من الشعب إلي مغارة القديس. وناداه من خلف مدخلها. وأعلن له أن إرادة الله تختاره لهذا المنصب الأسقفي الرفيع. فصمم القديس علي الرفض لهذا الشرف العظيم، لعدم إستحقاقه.

+ ولكن لما رأي إلحاح البابا له، طلب منه أن يُمهله إلي الغد، حتي يستعد، ولما عاد قداسته إليه، وأعاد تكرار العرض عليه – بالرسامة الأسقفية – رد عليه الناسك خاضعاً وقال: «حسناً ياأبتاه، ولكن فلنبدأ بالصلاة حتي يساعدنا الله».

+ وبدأ الأب البطريرك بالصلاة، كما صلي الناسك من خلف باب مغارته المغلق بالحجارة، وإذا بالقديس نيلامون يتنيَّح في نفس اللحظة، ودون أن يعرف البابا ما حدث وظل يصلي.

+ ولما لم يردُّ القديس علي نداء قداسته، رفعوا الحجارة، ووجـدوا القـديس، وهو راقـد علي الأرض، ويداه مضمومتان علي صدره، وبَصرُه مرفوعاً نحو السماء. وفي سلام وهدوء، فصلي عليه البابا ودفنه بإكرام، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✣ ✣ ✣

(٣٦) سير من سواح صحراء سيناء

• أكاليل بالجملة:

+ كانت سيناء يسكنها – في القرن الرابع – قبائل بدوية كانت تهجم علي السواح والرهبان الأقباط ويذبحونهم ويسلخون جلودهم، ويقطعونهم إلي نصفين بدون رحمة، وفشلت القوات البيزنطية في إبعادهم عن المتعبدين في جبال سيناء!!

+ وفي نفس الفترة ترك مسئول بقصر الملك ثيؤدور (Theodore) يُسمي نيل (Nil) حياة الترف، ومضي الي صحراء سيناء، وأخذ معه إبنه ثيؤدول

(Theodole)، الذي أسَرَه هؤلاء المتوحشون مع بعض الرهبان المتوحدين والمتعبدين في الكهوف في جبال سيناء.

+ ولما عزم البرابرة (المتوحشون) تقديم ثيؤدول ذبيحة لأوثانهم، تمكن من فك قيده - قبل قتله - بعد نوم الأشرار، وهرب الشاب سراً الي الصحراء، وسار حتي وصل لأحد الأساقفة، وهناك تلاقي مع أبيه «نيل». وعاشا معاً، في عبادة حارة، في جوف صحراء سيناء، ثم إستراحا في الرب بسلام، بركة صلواتهما تكون معنا، آمين[1].

✠ ✠ ✠

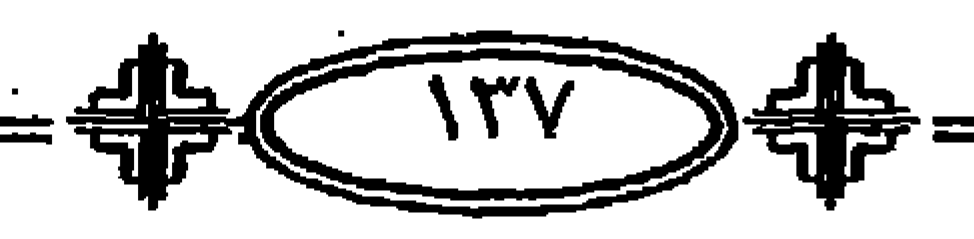
(٣٧) سيرة القديس أنبا قرياقوس السائح [2]

• بركات التمسُّك بالإيمان السليم:

+ عاش هذا القديس في صومعة ترتفع عن الأرض، علي

(١) شينو، القديسون المصريون، ترجمتنا، ونشر مكتبة المحبة، ص ٧٣

(٢) القمص سمعان السرياني، الآباء السواح (١٩٩٠) ص ٣٥ - ٤٢ .



شاطيء البحر المتوسط، في أوائل القرن السابع. ولما أراد أتباع مجمع خلقدونية معاقبته علي إيمانه الأرثوذكسي، صلي القديس الي الله، فأخفاه الله عن أعينهم، فرجعوا الي الوالي وأعلنوا له أنهم لم يشاهدوا هذا السائح!!

+ فذهب الي البرية، وأقام في مغارة ، تأوي اليها الوحوش في الحر والبرد.

+ ولما طال الوقت ونفد الطعام، سأل الرب بما يقوت جسده الضعيف من كثرة الصوم. فأرسل الله له بقرة وحشية شرب من لبنها. وكانت تأتي كل ٣ أيام. وأقام علي هذا الوضع ١٠ سنوات ولم ينقص لبنها، ولا إحتاج القديس لطعام آخر!!

+ ويدأ عدو الخير يُخيفه بشكل وحش مُخيف جداً، كان يتراَيَ له أثناء الصلاة، فكان يرشم عليه الصليب فيهرب منه. كما كان يأتيه خلال نومه، كأنه يريد أفتراسه، فكان يرشم الصليب فيبتعد عنه. وطالت تلك الحرب.

+ فخاطب ذاته بأنه ربما أساء - في هذا المكان - إلي الله، فأنتقل الي مغارة أخري. فظهر له عدو الخير في شكل عابد يسكن بجواره، ولا يكلمه. فسمع في منامه من يقول له «إحذر من هذا الناسك، فإنه شيطان، وهو يريد آن يزيغك عن طريق الله، وله سلطان علي محاربة جسدك»!!

+ فلما قام من نومه لم يجده، فتحقق إنه العدو المعاند. وفيما هو متفكر في الأمر، جاءه عدد كبير من العسكر وهم يركبون الخيل.وأمسكوه وضربوه بزعم إنه لا يريد آن يخبرهم عن الأعداء، ثم قيدوه وحملوه الي أعلي الجبل لكي يلقوه من فوق، ولكنه فرح بالإكليل فتركوه. وأدرك إنهم شياطين جاءوا لمحاربته بهذه الطريقة، فرشم ذاته بعلامة الصليب، فإنفتحت أمامه سكة قادته للوادي.

+ ثم أتي له الشيطان وهو راكب فرساً أحمر بلباسٍ أسود، وأراد أن يأخذه معه من البرية الي العالم، ولكنه لم يقبل، فضربه بشدة. ثم رشم القديس ذاته بعلامة الصليب، فاختفي عنه عدو الخير.

+ ثم جاءه إبليس، بعدما سهر طول الليل وغفا قليلاً، وكانت المغارة مظلمة، وسحَبَه من رجله اليُمنَّي، فلما رشم علامة الصليب تركه وهرب.

+ ثم ظهر له الشيطان، في شكل ملاك، وطلب منه أن يتبعه. فرشم ذاته بعلامة الصليب فلم يجده. ومرة أخري بينما كان ساجداً يصلي تعلق تنين إسود بعُنقه حتي لم يستطع أن يرفع رأسه، فأدرك إنه الشيطان.

+ فلما سأل الرب أن يُنقذه منه، أرسل الله له ملاكه وأنقذه من عدو الخير، وطرده بعيداً عنه. ولم يستطع إبليس أن يأتي مرة أخري لما ربطه، بعدما ظهر للرب مدي صبره وإحتماله للحرب.

+ ولما إشتاق البابا بنيامين أن يراه أرسله الله إليه في الكنيسة، وأعلمه السائح بإنه إبنه قرياقوس. وحكي له ما حدثت له من حروب روحية.فسجلّها في كتاب.

+ ويعدما مكث السائح عند البطريرك ثلاثة أيام، مضي عنه، بعدما عرّفه بإنهُ سيرحل إلي الرب بعد ٤ أشهر بالمغارة التي كان يقيم بها . فسجل تلك الساعة. وفي هذا الموعد أرسل البابا أساقفة رشيد وأتريب ودمياط، ومعهم إيسيذيروس الشماس الكاتب، ليحضروا ساعة نياحته.

+ وفي الطريق حاول إبليس أن يخيفهم،بالظهور لهم في شكل وحش مُرعِب، وأتاههم عن الطريق. فرآهم القديس قرياقوس، فإقترب منهم وعّزاهم. وعرّفهم بنفسه وأخذهم إلي مغارته. وأدرك بالروح أنهم جاءوا ليواروا جسده التراب. فأقاموا عنده يومين،

+ وتنيّح في اليوم الثالث، وشاهدوا العجائب التي رأوها عند نياحته وخروج روحه من جسده. برَكة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٣٨) سيرة القديس الأنبا يوحنا السائح[١]

• بركات الإنتصار علي عدو الخير:

+ حكي القديس أنبا آلوس (Alos) آنه كان معه في البريّة شيخ قديس يُدعَي «**يوحنا**» وكان لا يستطيع أحد أن يجده، لأنه كان دائب التجول في البرية. وفي بداية رهبنته قضي ٣ سنوات في صلوات مستمرة، وكان يختطف القليل من النوم وهو واقف!!

+ وبالطبع أقام عليه عدو الخير الحرب. فجاءه في شكل كاهن ومعه إمرأة، فأدرك القديس خداع إبليس، فإنتهره وقال له: «أيها الممتليء غشاً، وعدو كل صلاح... الرب يسحق كل قوّتك..».

+ فقال له الشيطان: «بعد قليل سوف أتسلّط عليك (بالأفكار الشريرة) حتي أُسقِطَك». فانتهره القديس بإسم الرب يسوع، فأختفي عنه خازياً.

---

(١) مخطوطة رقم ٢٩٠ (أ) ميامر، بدير السريان العامر، عن القمص سمعان، المصدر السابق ، ص ٤٣ – ٤٤.

+ ثم أصابه عدو الخير بألم وورم وصديد في رجليه، فظهر له ملاك الرب وعزّاه علي بلاياه. وشفاه بمعونة الله. ثم أمره أن يغادر هذا الموضع ويدخل الي البرِّية الجُوانية. وعاش بها.وكان يقتات ببعض الأعشاب.

+ وقد أظهر الله معجزات كثيرة بيده؛ ثم إستراح في حضن المسيح، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين..

✠ ✠ ✠

(٣٩) سيرة الأنبا اسطفانوس السائح

● درس قاس من العالم الآخر:

+ روي القديس اسطفانوس السائح ببرية الفيوم، إنه كان يطوف الصحراء فوجد جمجمة لإنسان، فصلي إلي الله، فسمع صوتاً صادراً منها، لإنسان مقيم في قاع الجحيم.

+ وقد ذكر له هذا الشرير بأنه كان تاجراً طماعاً ومحباً

للربا وظلم الناس، ولا يصنع الخير، رغم إلحاح أولاده عليه بالتصدق من ماله علي المساكين.

+ وقد سافر في الصحراء بقافلة للتجارة، ولكنها ضلت الطريق، الي أن مات الشرير ورحل للجحيم.

+ ويستمر هذا التاجر الظالم في سرد قصته للقديس اسطفانوس السائح قائلاً: «بأنني رأيت ملاكاً مهول المنظر جداً، جاء وبيده سيف من نار، وفمه يتقد ناراً، وأمر روحي بالخروج من جسدي، وسلّمها لأعوان الشر، فخطفوا روحي بخطاطيف معهم وطرحوني في الهاوية».

+ ثم رأيت في الهاوية شيخاً شريراً مثلي، وكنت أعرفه في العالم، فقلت له: «وكيف أتيت الي موضع العذاب هذا؟!» فقال لي: «إن أعمالي الردية هي التي أتت بي الي ههنا». وإذا بصوتٍ كالرعد - وهو ملاك الهلاك - جاء **فطرحني في أسفل الجحيم، وأنا هناك حتي هذه الساعة»!!** ثم قال: «ويلي.. فلم ينفعني المال ولا العيال!!».

+ ثم أضاف ساكن الجحيم - يتكلم من الجمجمة - ويقول للقديس السائح:

* «إياك يأبي اسطفانوس أن تكسل عن فعل الخير، والصلاة،وإنذار الناس أن يبتعدوا عن شهوات العالم ويحفظوا الوصايا، وممارسة كل وسائط النعمة.. **وقد كنت أعرف هذا جميعه، ولكني لم أعمل به»!**

+ ثم كرر القول ثلاث مرات. ثم قال: «إن (الملاك) الموكل بي هو الذي أمر بالكلام إليك». ثم صمت عن الكلام .

+ ثم يقول القديس اسطفانوس السائح: «فأخذت تلك الرأس (الجمجمة) وأتيت بها الي مغارتي وحفرت بها ودفنتها، ثم مضيت لإخوتي، وأخبرتهم بكل ما سمعته» (وهو درس قاسٍ لكل نفس متُهاونة الآن).

+ ثم قال: «نسأل الله أن يجعلنا نعمل لطاعة وصاياه، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي»، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤٠) سيرة القديس آنبا زكريا السائح(١)

• تجربة مباركة:

+ يروي القديس أنبا يعقوب أنه لما كان راهباً بدير ناهياً بالجيزة، ذهب في طريقه الي بلدة ترنوط، لأجل أخ تركه؛ وتوجع قلبه عليه.

+ وبينما كان يسير وجد ثلاثة من البربر قد أمسكوا رجلاً يركب علي دابة. وأخذوا ما معه ثم أرادوا قتله، وكان القديس يراهم وهم لا يرونه، فصاح فيهم مُهدِدَاً!

+ فلما ظنوا أن معه جنود السلطان، هربوا حالاً وتركوا مامعهم، واندفعوا نحو النهر (فرع رشيد) لعبوره، فغرقوا فيه، بينما أنقذ الله الشخص. وكان مسيحياً شريراً. فأخذ كل ما كان للبربر.

+ فحذّره القديس فلم يسمع له. ولما وصلا الي ترنوط أخذ سيفاً، وكان قد تركه البربر وأراد بيعه في السوق. فأمسكه رجل، وطلب منه أن يدّله علي الذي

(١) مخطوطة رقم ٢٩٠ (أ) ميامر، بدير السريان العامر.

باع له هذا السيف، لأنه خاص بأخيه المفقود منذ أسبوع!!

+ وقاده الرجل الي الوالي بزعم إنه قتل أخاه، وقرر الوالي قطع رأسه.

+ فتقدّم القديس يعقوب الي الوالي وحكي له ما حدث من البربر، فتم إطلاق سراحه. وأخذ درساً قاسياً، إذ نجاّه الله، من البربر ومن الموت.

+ فتاب وترهب ومارس الصوم والصلاة، وكان شاباً في الثلاثين من عمره. وبالطبع بدأ عدو الخير يحاربه كعادته لمن يسلك في طريق الخلاص. فظهر له – في حُلم – بصورة والده الشيخ، ودعاه كي يأتي إليه، لأنه يحتاج الي مساعدته.

+ فمضي الشاب للقديس يعقوب، وحكي له حلمه، ورغبته في الذهاب لرعاية أبيه المُسن، الذي تركه منذ ٣ سنوات. فأفهمه القديس بأنها حرب من عدو الخير، فلم يسمع له. ثم مضي الي لقاء والده.

+ فلما وصل اليه وسلم عيه قال له: «ياولدي، من الذي أخرجك من ديرك، بعد أن كنت عابداً صالحاً عفيفاً؟!» فذكر له موضوع الحلم - فأعلن له أبوه إنه لم يفكر في هذا الأمر. فأعلمه إنها حرب من حيل إبليس.

+ فعاد الي قلايته وأغلق بابها، وبكي علي قبوله فكر عدو الخير. ثم جاهد، وسار مع ثلاثة سياح، وعادوا الي الدير، بعد رسامة القديس يعقوب أسقفاً للدير، وتناولوا جميعاً من السر الأقدس، دون أن يراهم أحد بالكنيسة سواه، فتعجب من الأمره ثم ودعوه وساروا في سياحتهم، بركة صلوات الجميع تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤١) سيرة القديس أنبا موسي السائح[١]

+ كان هذا القديس راهباً بوادي النطرون، وكان يلبس رداءً من ليف النخيل، ويأكل مرة كل عدة أيام. ثم

(١) عن مخطوطات دير السريان أرقام ٢٨٢ - ٢٩٠ (أ) ميامر عن القمص سمعان السرياني، ص ٧٣ ..الخ.

مضي الي جوف الصحراء حيث وجد واحة بها زيتون ونخيل،فكان يأكل منها ويشرب من ماء المطر.

+ وكانت الوحوش تأتي إليه، وعندما تقل الامطار يصلي فتسقط،ولكي تشفَي الوحوش والطيور بيده. وظل علي هذا الجهاد الروحي لمدة ٣٥ سنة، ولكن إبليس حاربه بعدة طرق، فظهرله في شكل شيخ. ويدأ يمدحه علي زُهده، ثم خدعه بمناظر عالمية، وبمناظر النساء، ويدعوه إلي ترك البرّية.

+ ثم كشف له عدو الخير أنه أستطاع خداعه بطاعته له، ولم تعد الوحوش البرية تأنس اليه كعادتها معه، فشعر بالندم، وبكي بمرارة، فأرسل الله له ملاكه وعزّاه.

+ وأعلن له الملاك أنه بعد ٣ أيام سوف يتنَّيح ويكون مع الآباء القديسين في الفردوس، ووعده بإرسال القديس صموئيل(القلموني) لكي يواري جسده التراب.

+ فأتي اليه الأنبا صموئيل، فأعترف له الأنبا موسي بمحاربات إبليس، وكيف خدعه بمناظر عالمية، ثم صحبه الي كنيسة – في البرية – لكي يتناول من السر الأقدس، مع مجموعة من السواح. وصلي القديس صموئيل القداس وناول أنبا موسي.

+ ثم سجل القديس صموئيل سيرة القديس أنبا موسي السائح. وما جري لبه من عدو الخير. ثم ذكر في خاتمها أنه طلب من (أنبا صموئيل) أن يذهب الي موضع به عظام القديسين، ليتبارك منهم. ولما أبطأ في العبادة والسجود هناك، مضي إليه القديس صموئيل وناداه،ولم يُجبْه.فعلم إنه تنيَّح، برَكة صلوات الجميع تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤٢) سيرة القديس أولاج السرياني السائح[1]

• مرافقة أسد الي الأبد:

+ عاش هذا القديس في دير بسوريا، ثم مال للوحدة،

(١) عن مخطوطة رقم ٢٩٧ ميامر، بدير السريان العامر.



بصحبة شيخ قديس يدعي «إسيذورس» (Isidore)، فإختبره وعلمه الفضائل، كما التزم الصوم والهدوء والإتضاع.

+ وأقام عليه عدو الخير حروباً كثيرة، ولكنه بنعمة الله وبصلوات أبيه الروحي وإرشاده، إنتصر علي الحروب. وإمتلأ نعمة مثل معلمه.

+ ولما شاخ القديس وإقترب من الرحيل من العالم نصحه بأن يعيش طاهراً نقي القلب، ويحيا بالإتضاع. ثم بهدوء خرجت روحه، وحملتها الملائكة بفرح الي الفردوس، فواري أولاج جسده في مغارته.

+ وقد دبر الله «أسداً»، ليرعي القديس أولاج في مرضه، فمضي الي راعي غنم وجاءه به وهو في رعب منه، فساعده ثم حمله الأسد الي غنمه، وكان يسبح الله، لأن القديس أولاج وهو عنده قد أوصي سبعة سباع بعدم الاعتداء عليه.

+ وقد قام القديس أولاج بعمل عدة معجزات - ذكرتها مخطوطة دير السريان (بوادي النطرون) بالتفصيل، منها أشفية وإخراج شياطين وغيرها، وجذب كثير من

الوثنيين – في نصيبين – الي الإيمان، بعدما أصاب كهنتها المرض، وسقطت أصنامهم بصلواته.

+ وفي أواخر أيامه أخذ «أسدَه» المحبوب معه للبرّية، وبعدما خدم المسيح بعبادة حارة – لمدة ٤٠ سنة تنيَّح بسلام، وكان عمره قد بلغ ١١٠ أعوام. وظل الأسد حارساً لمغارته الي أن مات بعد ٣ سنوات، فأمر القديس أندراوس (السرياني) الرهبان أن يحفروا قبراً للأسد الوفي، ليكون قريباً من صاحبه. كمثال للوفاء الحقيقي من الحيوان الي الإنسان. ولله المجد والإكرام والشكر والحمد، الي الأبد آمين.

✣ ✣ ✣

(٤٣) سيرة القديسة أنَّا سيمون السائحة[1]

من القصر الأرضي الي المجد الأبدي:

+ لما بلغت أنَّا (حنة) سيمون (Anna Simeon) سن السابعة، جاء لها والدها الملك البيزنطي بكاهن قديس، علمّها الفضيلة، وسير القديسين والسواح والشهداء

(١) عن مخطوطة رقم ٢٩٨ ميامر، بدير السريان العامر.



ومعجزاتهم، فاشتهت أن تكون مثلهم.

+ وداومت علي قراءة سير القديسين. ومالت الي الزّهد في القصر الإمبراطوري. ولما رحل والداها للسماء، تم تنصيبها ملكة علي العرش. فصنعت الخير، وأوقفت الأموال علي الأديرة، وداومت علي عادتها في الصوم والصلاة والسهر الروحي.

+ ولما فكرّت في فناء العالم ونعيمه الزائل، خرجت سراً وهربت ليلاً من القسطنطينية الي البرّية المصرية. وكان ملاك الرب يحفظها من الأخطار في الطريق وكانت الوحوش تأنس بوجودها معها.

+ ثم وصلت الي دير للراهبات، فتظاهرت بالجنون. فأشفقن عليها. وقامت بتنظيف دورات المياه، وغيرها من الأعمال الأخري المماثلة!! وأقامت علي هذه الحال تخدمهن عدداً من السنين.

+ وقام قديس(١) بزيارة دير الراهبات، فكشف الله له سيرة القديسة «أنّاسيمون». فطلب لقاءها. ولكن

(١) تقول مصادر إنه هو القديس أنبا دانيال قمص شيهيت.

الراهبات طلبن منه أن يبتعد عنها، لكي لا تؤذيه لأنها معتوهة!!

+ فنظر إليهن وبكي، ثم كشف لهن عن شخصيتها. وأعلن لهن أنها هي الملكة لسبعة أقاليم، وإن آباءً كثيرين لم يصلوا الي درجتها الروحية. فلما سمعن منه بكيّن، وطلبّن منها آن تسامحهن!!

+ فلما نامت الراهبات، خرجت القديسة من باب الدير سراً، ولم يجدن لها أثراً. ولم يعرفن إين ذهبت؟! (هرباً من المجد الباطل).

+ وذات مرة، كان أب كاهن نائماً في صحن كنيسة. فاشتم رائحة بخور زكية، ووجد شخصاً يصلي، وكانت أبوابها مغلقة!! فتعجب من هذا الأمر!!

+ ثم طلب منه هذا الغريب كمية من الدقيق والخمر لأعداد قربان، لقداس يوم خميس العهد، لنحو ٤٠٠ أب (من السواح). فأعطاه طلبه. وغاب عنه الطالب.

+ وفي عام آخر اصطحب الشخص هذا القسيس، الي

مكانٍ ما، في البرية الجوانية، حيث رأي هناك الكثير من السـواح، **ومعهم القديسة أثاسيمون** !!، بركـة صلواتهم جميعاً تكون معنا، آمين[1].

✠ ✠ ✠

(٤٤) سيرة الأنبا إيليا السينائي السائح

• استنارة القلب ونور الله للنفس:

+ كان يقيم في مغارة تبعد عدة أميال عن دير سيناء، وكان يسلك بنسكٍ شديد. وقضي في تلك المغارة ٤٥ عاماً، في وحدة كاملة مع الله.

+ وفي إحدي الليالي جاءه راهب ليأخذ مشورته، فوجد مغارته مُغلقة، ولكن كان يخرج من نافذتها شعاع من داخلها من ضوء شديد. وظل واقفاً خارجاً ٣ ساعات الي أن إنتهي القديس إيليا من صلواته!

(١) عن المخطوطة رقم ٢٩٨ ميامر، بدير السريان العامر.



+ ولما قرَع الباب، فتح له القديس، ولم يستطع الراهب أن ينظر الي وجهه من شدة أشعة النور الخارجة منه كالشمس!.

+ فعرف القديس بالروح بما رآه الزائر داخل قلايته السور فقرر ترك المغارة الي أخري بعيدة، ولا يعرفها أحد . وعاش فيها بصلوات لا تنقطع ليل نهار، وكان يقتات بالحشائش البرية فقط.

+ وبعد ٧ سنوات عاد الي تلميذه، وأعلمه بأنه قد هرب من المجد الباطل. ثم أعلمه بأنه سينطلق الي الأبدية، وطلب منه أن يصلي عليه، ويدفنه في المغارة الخاصة به في البريّة.

+ ثم قبّل تلميذه وصلي. وأسلم الروح بيد الرب المحب، فجاء الآباء إلي البرية، وحفروا له قبراً في مغارته.

* بَركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤٥) سيرة القديس أنبا هِرّمينا السائح

• حروب روحية دائمة:

+ روي القديس أباهور سيرة هذا القديس السائح بجبل قاو،بأنه كان مع أثنين من القديسين هما أنبا يوحنا وأنبا يوساب، فظهر لهم القديس يوحنا الحبيب (الرسول الإنجيلي) وطلب من أنبا هور الذهاب الي البرِّية الجُوّانية للقاء الأنبا هرّمِينا (= صاحب القلنسوة).

+ وتحدث الانجيلي لهم عنه بأن له ٦٠ سنة في البرِّية، ولم يُعطِ راحةً لجسده طوالها!! وكان وهو عمره ١٠ سنوات يرعي غنم أبيه، وقد تدرّب علي الصلوات والصوم حتي المساء – ماعدا السبت والأحد – وفي تلك السن الصغيرة كان يخدم الغُرَباء فيسقيهم من ماء بئر، ويحمل متاعبهم،ثم يعود لغنمه!

+ وظهر له القديسان الرسولان بطرس ويوحنا ودعياه للرهبنة، ثم سلّماه لرئيس الدير،المدعو أنبا يعقوب.

وبعد ذلك صَحِبَه الرسول يوحنا الي جبل أسيوط. ثم توغّلا في وادٍ عميق، وبه مغارة وعين ماء ونخلة. ونصحه الرسول بالبقاء هناك.

+ واستمر في جهاده الروحي بشدة، حتي ضُعف جسده، ولكنه كان ينطلق بالروح ليري فردوس الآباء في عالم السماء.

+ ثم حاربه عدو الخير - كالعادة - فظهر له في شكل ملاك. وكذب عليه بأنه الملاك ميخائيل، وطالبه بالرجوع الي بلدته. فأدرك القديس بالروح أنه إبليس.

+ فلما صلي نزلت سحابة نارية وأحاطت بالشيطان وصار يلتهب ويصرخ، واختفي بعدما أعلمه أنه لن يكّف عن قتاله، وعن كل من يشبهه، الي انقضاء العالم!!

+ ثم جاءه ٧٠ من قوات الظلمه، وقرعوا باب المغارة، فخرج اليهم وهو يتلو المزامير، ورشم عليهم علامة الصليب، وعرفهم فطلب من الرب أن يجازيهم حسب شرهم. فحضر رئيسا الملائكة ميخائيل وغبريال

وصـارًا يجلدانهم، وكـانت الشـيـاطين تصـرخ من عـذابات الملاكين وتقـول «نـحن مـأمـورين من رئيـسنا (إبليس)، فأطلِقنا؛ ونحن لا نعود إليك».

+ ثم هربوا للبرية الجوانية.

+ ثم أثار عدو الخير ريحاً حاملةً رمالاً، ردمت مغارة القديس وهو بداخـهـا، فـصلي الي الله، وطلب منه إرسال ملاك لعلاج هذا الأمر. فأتي الملاك ميخائيل وأوثق الشيطان وجنوده، وطلب من القديس أن يفعل بهم كما يشاء. فأمرهم بإبعاد الرمال عن فم المغارة، ففعلوا مُجبرَين.

+ وبعدما إنتهي القديس يوحنا البشير من ذكر سيرة أنبا هرّمينا السائح للأنبا هور، طلب منه أن يذهب اليه في جبل قاو، لأنه قد كبر في السن.

+ ثم ذهب اليه أنبا هور، بعدما توغّل في البرية نحو ١٨ ميلاً. فلقاه وهو يصلي؛ فباركه.

+ ثم عاد مرة أخري، عندما رأي رؤيا عن القديس هرّمينا. فرآه هذه المرة مُتهللاً بالروح.

+ ثم نصحه القديس بالجهاد،لأن فخاخ الشيطان كثيرة. ثم عاد أنبا هور الي قلايته بجبل أخميم.

+ ثم ظهر القديس يوحنا الإنجيلي – مرة أخري – للقديس هور، وأعلمه بقرب نياحة أنبا هرّمينا.. وفي الطريق اليه قابله عدو الخير في شكل وحش أسود بقرنين، فرشم ذاته بعلامة الصليب، فإختفي عنه، وشكر الله الذي خلّصه منه.

+ ولما وصل القديس هور الي أنبا هرّمينا، رأي عنده الرب يسوع مع ملائكته. وقد طوّب الرب السائح العظيم، ووعده بثلاثة أكاليل: وهي عن البتولية + وسكناه في البرية الداخلية + وأتعابه الكثيرة من أجله.

+ ثم ظهر الملاك ميخائيل للقديس هرمينا، وأعلن له بأنه سوف يتنّيح بعد ١٢ يوماً. فلما تقابل معه أنبا هور ليودعه، سلم عليه وقَبلّه، وطلب منه أن يُكّفِن جسده. وجاءت الملائكة وحملت روحه الطاهرة إلي السماء وهي ترتل بفرح.

+ وبعد نياحته حاث وظهرت من جسده معجزات كثيرة. وحتي القرن ١٢م كانت توجد كنيسة بإسمه في بلدته البهنسا (ببني سويف)، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤٦) سيرة القديس أنبا غاليون السائح

• معونة الرب القوّية:

+ ذكر القديس أنبا إسحق، رئيس دير القلمون (بالصحراء الغربية) بأنه دخل الدير شاب يدعي «غاليون» من إحدي قري الصعيد، وكان يداوم علي الصلاة ليل نهار - كما كان يأكل مرة كل أسبوع، كما كان عالماً بالكتاب المقدس، ونامياً في فضائل كثيرة.

+ ولم يخرج من الدير أبداً، إلي أن صار شيخاً!

+ وقد أتاه عدو الخير ليلاً - ذات مرة - عندما خرج من الكنيسة، وقال له: «يا أخي غاليون، لقد كنا ١٢ سائحاً في البرية، واليوم مات واحد منا، ونريد أن تحل محله بصفتك ناسك وزاهد في العالم». ثم أختفي عنه.



+ فظن أن الله أرسل له ملاكاً. وبعد إنتهاء صلاة نصف الليل خرج من الدير في السر، فوجد رجالاً في زي رهبان. فسلّم عليهم وتبعهم الي منتصف النهار حيث وصلوا الي قمة الجبل بلا طعام ولا ماء!! فجلسوا يتضاحكون ويسخرون مع بعضهم وقالوا: «لقد صدنا - في هذه الليلة - صيداً ثميناً»!!

+ فأكتشف القديس غاليون أنهم كانوا شياطين، ورشم الصليب علي وجهه، فهربوا من أمامه. وظل يتلو بعض المزامير. فأرسل له الله ثلاثة من رهبان دير أنبا شنودة (رئيس المتوحدين)، وأعلنوا له بأنهم قد عرفوا بما حدث له من فخاخ عدو الخير، وطلبوا منه أن يشكر الله علي نجاته بمعونته. وساروا معه.

+ ووجدوا عند سطح الجبل عين ماء عذب بها سمك، كانوا يأكلون منه ويشكرون الله علي عطاياه.

+ وأقام القديس غاليون معهم مدة سنة. ثم قال له أحدهم إن أباه «إسحق» يريد أن يراه قبل أن يموت

(غـاليـون)، وقـادوه الـي الدير، ثم ودعـوه عـائدين الي ديرهم.

+ فوجدهالقديس اسحق واقفاً ينتظره، لأنه رأي - في رؤيا - أنه يراه بالجسد، وتنبأ بأنه في اليوم السابع من اللقاء ينتقل من الجسد الي دارالأبد».

+ فحكي له القديس غاليون، ما فعلته معه الشياطين، وكيف نجّاه الله. وفي الوقت المعلن من السماء تنيّح القديس غاليون، برَكة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✤ ✤ ✤

(٤٧) سيرة القديس يوساب السائح

• فساد الحُكم حسب الظاهر:

+ ترّهب في وادي النطرون، ولما جاهد طويلاً ووصل الي سن الشيخوخة. كان جسده قد ضَعُف من كثرة النُسك، كما كان يحيا في صلوات مستمرة، ساهراً بالروح، وصابراً علي حروب عدو الخير.



+ وكان الله يرسل له طعامه، كما كان ينتقل من مكان الي آخر فوق السحاب!!

+ وقد صلي إلي الله ليعرف مَنْ يماثله في الروحانية؟ فأعلن له ملاك الرب أنه يماثل ملك أنطاكيا بسوريا. فحملته سحابة الي أنطاكية، ووصل عند باب المدينة.

+ فرأي الملك فوق حصانه وحوله الجند، وكان يرتدي تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة، ويلبس أفخر الثياب. فلما فكَّر في قلبه قال متسائلاً: «كيف يكون هذا الملك مثله في الجهاد الروحي، وهو بهذه الصورة؟!» (العالمية).

+ فقال له الملك (بإرشاد الروح): «يأنبا يوساب لقد اشتهيت لنفسك تعباً». ثم أمر جنوده أن يأخذوا القديس الي قصره، وأن يكرموه إلي أن يعود اليه بعد مأموريته.

+ ولما جاء الملك قدم له مائدة عليها طعام فاخر، ثم اصطحبه الي جناح سُكْناه، ثم التقي بالملكة وهي في

كامل زينها بالجواهر، وحولها جواريها. وبعد ذلك جاءت الملكة والملك وهما يلبسان مسوحاً. فتعجّب أنبا إسحق مما رأه في تلك المرة.

+ ثم مضي القديس معهما الي موضع آخر بالقصر، حيث رأي هناك راهباً يجلس علي الأرض ويعمل بيديه. وبعد الصلاة بدأ الملك والملكة يعملان شغل أيديهما مع الراهب. وبعدما تحدثوا بعظائم الله، صلوا، وجاء الخادم بمائدة عليها خبز وطعام بسيط، فصلواً وأكلوا وشكروا الله.

+ ثم تبارك القديس منهم، وعاد علي السحابة الي مغارته بالبرّية المصرية، وهو يمجد الله لأجل مختاريه الحكماء والمتضعين، وعاش في فرح وتسبيح إلي أن تنيّح، وتعلّم الدرس أن المرء لا ينبغي له أن يحكم بتكبّر،ويفتخر بجهاده، وكذلك لا يلزم أن يحكم حسب الظاهر، حسب وصية الرب (يو ٧:٢٤)، برَكة صلوات الجميع تكون معنا، آمين.

+ + +

(٤٨) سيرة سائحة في صحراء فلسطين [١]

• عروس المسيح في البرّية:

+ روي القديس سيلاش، الذي كان يتعبَّد في مغارة قُرب أورشليم وأنه كان منذ سنين له صديق – سائح – يسكن في مغاير القلمون. وقد تعوَّد أن يمضي اليه في الأعياد الكبري – كالميلاد والغطاس والقيامة – لزيارته في مغارته حاملاً له طعاماً، ولنيل البَرَكة.

+ ولما إقترب عيد القيامة – ذات سنة – ذهب للبرية كالعادة، وظل يبحث عن مغارة السائح فلم يجدها. وتاه بين التلال، وعطش لشدة الحرارة.

+ وبينما كان في هذه الحال، رأي أثر قدم صغير، فتتبعه الي أن وجد كومة من القش، فحرّكها من مكانها، ورأي مدخلاً صغيراً لمغارة.

+ ولما طلب الإذن بالدخول لم يُجْبه أحد، فتجاسر ودخل.

---

(١) مخطوطة رقم ٢٠٧ ميامر، بدير السريان العامر.



فوجد راهباً في سكون. فتحدث معه. ونظراً لأنه لم تكن له لحية فقد ظنه خصياً، أو إمرأة!

+ ولما طلب المضيف منه أن يصلي، طلب هو منه أن يصلي، فأجاب الراهب «ينبغي أن تصلي أنت، لأنك قسيس أيها الأب»!!

+ ثم تعاهد الزائر أن يخفي خبر هذا السائح، فكشف له سرَّه. فقال: «أنا عذراء بنت أحد أكابر القسطنطينية. ثم خطبني أحد شباب المدينة من أبي، لكني لم أكن راضية بالزواج، لأنني كنت أريد التكريس في البتولية. وكنت أفكر في زوال هذا العالم».

+ ثم طلَبَت من والدها أن تفي بوعدها بزيارة الأماكن المقدسة بالقدس. فأرسل معها الحراس والجواري، ودفع لها ٣٠٠٠ دينار لتوزيعها علي المحتاجين هناك.

+ وبعدما زارت الأماكن المقدسة، ذهبت الي قديس يلبس المسوح ويقيم في مغارة، ليحمل سرها. ويلبسها إسكيم الرهبنة.

+ ثم كتبت رسالة الي أبيها والي قائد الحُرّاس معها، بإنها قررت التكريس،فلا يبحثوا عنها. وبعدما زارت كنيسة القيامة، طلبت من خادمتها إنتظارها، أما هي فهربت سراً من القدس الي طريق أريحا، وعادت للقديس الذي يرتدي المسوح، الذي لما رأي دموعها وإصرارها علي التكريس، قص شعرها وألبسها الإسكيم وثياب خشنة، وتركت له مامعها من مال. وتصدقت بملابسها وجواهرها. وأعطاها القديس بعض الكتب المقدسة والروحية ثم صرفها بسلام.

+ ثم أسلمت ذاتها لله، الذي قادها لتلك المغارة التي تقيم فيها منذ ٢٨ سنة، ولم ترَ أي إنسان خلالها!!

+ وكان وجهها مُنيراً كالشمس. ورفضت أن تأكل من طعامه.وقالت له: «إن أكلت من هذا الطعام، فمن يُطّعمني ويُرسِل لي الطعام باقي عمري؟!»

+ ثم سألها القديس ألا تُفارِق مكانها، إلي أن يأتي ويتبارك منها. وبعد الصلاة إنصرف وهو يُمجّد الله.

+ ثم قال القديس «وحينما وصلتُ الي قلايتي لم أُحس بالعطش، رغم شدة حرارة الجو!!».

+ وبعد أيام ذهب القديس الي مغارتها، فلم يجدها. برّكة صلواتها تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٤٩) سيرة سائح مجهول في بنتابوليس

● **لقاء السائح التائب**[١]:

+ ذكر صياد مسيحي أنه كان يصيد السمك بمركِب في الساحل الشمالي الغربي بالقُرب من ليبيا. فنزل الي الشاطيء، باحثاً عن الماء العذب. فلم يجد سوي شخص في وسط غابة خضراء.

+ وقد حكي له أنه كان بحاراً، وأن السفينة التي كان يركبها قد تحطمت في البحر (المتوسط) فتعلّق بقطعة من خشبها ونجا الي البر، ووجد هذا المكان الجميل

(١) القمص سمعان السرياني، المصدر السابق، ص ١١١ - ١١٢.

وحوله النباتات وينبوع ماء. فقرر أن يعيش فيه عابداً الرب، وشاكراً إياه علي النجاة، ولكي يغفر له خطاياه الكثيرة.

+ وعاش في كهفٍ تأوي إليه بعض الوحوش،ولم تؤذِه؛ وكان سعيداً بعشرة الله، وظل يداوم علي الصلاة.

+ وطلب من الصياد الزائر أن يحضر له، في نفس الموعد من العام القادم ومعه كفنه. فرجع الصياد الي الإسكندرية، بعدما وضع علامة لكي لا يضل الطريق إليه.

+ وفي الموعد المحدد تقابلا وتعانقا . وتحدَّثا بعظائم الله. ثم أبصر الصياد وجه السائح، وقد صار شديد الضياء، ورَشم الصليب وأسلم الروح في هدوء، فكَفنه ودفنه في مغارته، ووضع فوقها صليباً خشبياً، ورجع للإسكندرية مُحدِّثاً بسيرته. بركة صلواته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

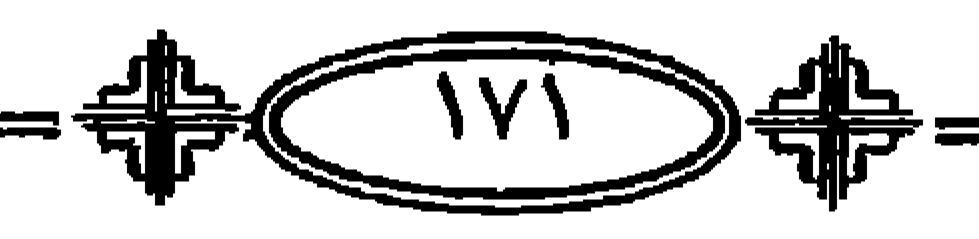
(٥٠) سيرة القديس خريستوذولس السائح

• أم مباركة وحكيمة:

+ في أواخر القرن الخامس عمل الشاب «خريستوذولس» (عبد المسيح) في صناعة الُحلي والجواهر (=صائغ) وبينما كان يعمل في دكانه أرسل له الشيطان إمرأة شريرة، محاولةً إيقاعه في الدنس، بعثرتها بكلماتها وجمال جسدها ومكرها!!

+ وقدمت له قطع من الحُلي المكسورة ليصنع لها منها حُلي جديدة، ثم كشفت عن صدرها بنية خبيثة، أثناء غوايتها الشيطانية. فأدرك الشاب الحكيم أنها حيلة من حروب الشيطان، فتذرع بحجة للهرب منها، واعداً إياها باللقاء في الغد. ومضي الي بيته.

+ فلما رأت أمه الحكيمة عزمه علي حياة التكريس، طلبت منه أن تذهب هي الأخري الي دير. فوزّعا أملاكهما علي المساكين، وسعيًا وراء خلاص نفسيّهما.



+ وبعدما أودع أمه ديراً للرهبات، سار في جوف الصحراء – لمدة ٣ أيام – وهو يُردِّد المزامير، ويشكر الله الذي أبعده عن عثرات العالم، إلي أن إلتقي بثلاثة من السواح، وبيد كل واحد منهم صليباً يشع نوراً شديداً.

+ وبعدما حياهُم حكي له ما حدث له، فأدركوا عزمه علي السير مع الله. فأعلنوا له بعض أنواع من محاربات عدو الخير، من حروب الفكر والجسد. ثم أرشدوه الي واحة خضراء وبها عين ماء. ولما وصلها بدأ ممارسته الروحية بنشاط واستمرار ليل نهار.

+ وبدأ إبليس يُقيم عليه الحروب الروحية وفشل، لأن القديس تحصَّن بوسائط النعمة من صوم وصلاة، وسهر روحِي، فسنده الرب، الذي أحبه من كل قلبه،وخصص له كل وقته.

+ ومن تلك الحروب ظهور الشيطان لعدد من البدو (البربر) فوق الجبل. وأوضح لهم أن في الواحة

شخصاً عنده كنزاً ، ثم ظهر- في زي راهب - وقابل القديس، وكذب عليه مُدّعياً أن بأعلي رهباناً ضلُّوا الطريق· وقد أعياهم التعب والجوع والعطش، وطالبه بمرافقته لإنقاذهم، ولكن القديس رشم ذاته بعلامة الصليب، كعادة كل الرهبان، فصار عدو الخير كالدخان (وهو تدريب لازم لكل إنسان)·

+ وبعد سنوات من الجهاد، جاءه السواح الثلاثة، فتعزّي معهم· وشكروا الله علي محبته، وعبادته الحارة لله، وظلوا معه.

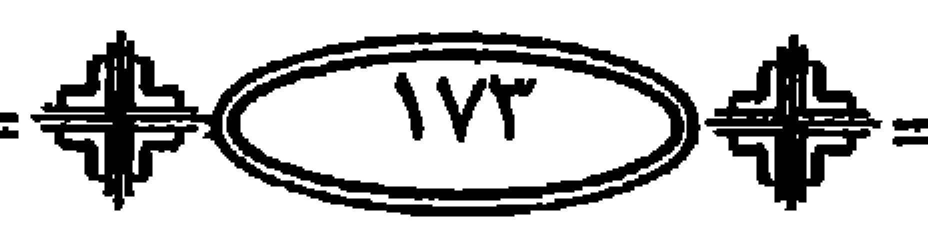
+ ولم يحرمه الرب من بركة الألم.فمرض قليلاً، ثم إستراح في حضن السيد المسيح، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٥١) سيرة القديس ميصائيل السائح

• لقاء في قلب الصحراء:

+ بينما كان القديس «**أنبا إسحق**» رئيس **دير القلمون**



(جنوب الفيوم بالصحراء الكبري) جالساً أمام باب ديره، في لحظة تأمل وصفاء، تقدَّم اليه الشاب «ميصائيل»، وقبَّل يده، طالباً البَرَكة.

+ ثم خاطبه بلطفٍ وإتضاع قائلاً: «ياأبي – أنبا إسحق – إقبل ضعفي لأجل المسيح، وساعدني علي خلاص نفسي، ولكي أعيش من جملة أولادك بالدير».

+ فتعجَّب الشيخ من وداعته وحكمته في كلماته، رغم إنه لم يزل بعد في سن صغيرة. وزادت دهشته عندما دعاه بإسمه!!

+ فقال له القديس متسائلاً: «من الذي أعلمك بإسمي، ياإبني؟!»

+ فقال له «إن النعمة الحالة عليك، هي التي أعلمتني، يأبتاه».

+ فطلب منه القديس أن يخبره عن سبب رغبته في التكريس في هذه السن الصغيرة!!.

+ فقال له «كان أبي رجلاً غنياً جداً، ولكنه كان مسيحياً

بالأسم، لأنه كان مُحِبّاً للمال، ومنشغلاً به عن الله (كما هي الحال في عالم اليوم للأسف).

+ وكان يتساءل ويفكر بإستمرار، عن من سيرث ثروته الكبيرة بعد موته!! وذات يوم زاره شيخ راهب قديس. فشكا له همومه، لعدم وجود إبن يرثه!!

+ فقال له الشيخ الطوباوي: «**أصلِح طريقك مع الرب المحب للبشر** (= أسلك بإستقامة) وهو يرزقك ولداً مباركاً، يُفرِحك أنت وزوجتك».

+ فتساءل أبوه في دهشة: «وكيف يكون ذلك؟!».

+ فقال له القديس: «عش حياة فاضلة (بعيداً عن الخطية، وعن محبة الدنيا) أنت وشريكة حياتك. واسلُك حسب وصايا الله دائما، وواظب على الصدقات والصلوات والتضرُعات...».

+ ثم أضاف قائلاً: «ولا تنقطع ابداً عن أسرار الكنيسة ولا عن إجتماعاتها الروحية النافعة. وليكن لك أب كاهن قديس ومُختبِر، تستشيره دائماً في كل أمورك

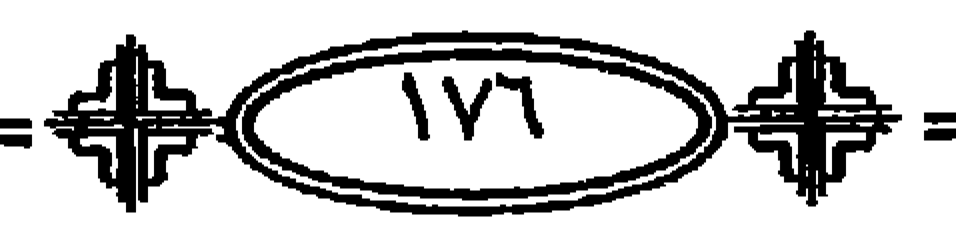
وأفكارك، ولتُطِع نصائحه... فإن فعلتَ هذا، حقّق الله آمالك».

+ ثم قال الشاب ميصائيل: «وقام أبي وأمي بتنفيذ كل ما أوصاهما به الشيخ القديس - بكل محبة وصلاح - فتحقّق كلامه. وحملت بي والدتي - في العام التالي، كما أخبرتني به أمي».

+ ثم قال: «ولما بلغت السادسة من عمري إنتقل أبي وأمي الي الفردوس بشيبة صالحة. ولم يكن لي أقارب في بلدتي، فاهتم الأب الأسقف بتربيتي تربية روحية وعلمية، كما تولي تدبير ميراثي وأموالي.

+ ولما داومت علي قراءة الكتاب المقدس وسِيَر القديسين أحببت حياة التكريس الكامل لله. واشتقت للعبادة في البريَّة، وجئت متوسلاً إليك أن تقبلني عندك، ياأبي».

+ ففرح الأنبا اسحق بحكمة هذا الشاب. ولما تأكد من عزمه علي الجهاد، وإحتمال حروب الشياطين، سلّمه



شيخ حكيم، ليُعلِّمه الجهاد الروحي السليم، ثم ألبسه زي الرهبنة. ثم قرر أن ينفرد للعبادة في البرِّية.

+ وعندما زاره الراهب في قلايته - البعيدة عن الدير - وجد جسمه قد إحترق من كثرة الصوم والزهد، فطلب منه أن يُقلّل من جهاده، لأن: «الطريق الوسطي خلصت كثيرين»؛ كما قال القديس أنطونيوس، وقال سليمان الحكيم «لا تكن باراً بزيادة، لماذا تخرب نفسك؟!».

+ فقال له القديس ميصائيل: «أشكر إلهي الذي وهبني نوراً لعينيّ، لكي أقرأ الكتاب المقدس. وأعطاني السمع لأُذنيّ، لأستمع لكلمة الله (الوعظ)، ومنحني قوة (للساقين) للوقوف في الصلاة»!!

+ ولما نصحه القديس إسحق رئيس الدير بالاعتدال في الصوم، حوّل القديس ميصائيل الحديث بلباقة وقال لأبيه الروحي:

* «إعلم - يا أبي - أنه بعد ٣ أيام سيأتي إليك ٣ رجال - في زي جُند - ويطلبونني منك، فلا تمنعني من

الذهاب معهم. ولا تخف من حدوث شيء لي. ولا تحزن لفراقي، لأنها إرادة الله».

* ثم أضاف قائلاً: «واعلم أيضاً، أنه سيحدث غلاء شديد – في العام القادم – ولكني سآتي لزيارتك، في ذلك الحين».

+ فلما سمع الشيخ ما تنبأ به ميصائيل صدّقه، لأنه أدرك أنه من الله الذي يُعطي موهبة «النبوة» (Prophecy) لأولاده الممتلئين بالروح القدس، بممارسة كل وسائط الخلاص (اكو ١٢، ١٤).

+ وعلي ذلك قام الشيخ اسحق بشراء كميات كبيرة من الحبوب، وحفظها الي وقت المجاعة، التي بدأت فعلاً.

+ فلما اشتد الغلاء والمجاعة في كل البلاد، حاول والي المنطقة الإغارة علي دير القديس، لنهب ما يوجد من حبوب به. ولما إقترب الجند من الدير، ظهرت حالاً مجموعة من الجنود في شكل مُهيب ومُرعب، فهرب الوالي مع جنوده مذعورين.

+ فلما تقدَّم الأنبا إسحق، لشكر هؤلاء الجنود علي معروفهم، تقدَّم أحدهم اليه وكشف له سراً. مُعلناً أنه إبنه «**ميصائيل**» وأن المشتبهين بالجنود هم سواح، وإنهم هم الذين أخذوه معهم الي البرية الجوّانية!!

+ ثم طلب منه القديس ميصائيل أن يمضي الي الأنبا أثناسيوس - أسقف بلدته. وأن يطلب منه أن يعطيه ميراثه، ويبني به كنيسة بإسمه.

+ فلما ذهب إليه أنبا إسحق فرح بنمو الشاب ميصائيل في النعمة. وأعطي الأنبا إسحق المال، فقام بهدم بيت أسرة ميصائيل القديم، وبني مكانه كنيسة فخمة. وعند تكريسها، حضر ميصائيل مع الآباء السُوَّاح، ورآهم الأنبا إسحق دون غيره!!

+ ثم أعلن ميصائيل المجاهد - لأبيه الروحي - إنه سوف يرقد في الرب في العام التالي. ثم عاد مع باقي الآباء السُوَّاح الي البرية الجوانية. ورقد الأنبا إسحق في الموعد المُعلَن من الله؛ بركة صلوات وشفاعات الجميع تكون معنا، آمين.

(٥٢) سيرة القديس مارتينيان السائح

أول سائح قبطي بحري:

+ يروي القديس بلاديوس[1] أن القديس مرتينيان (في أوائل القرن ٥) داوم في شبابه علي قراءة سير القديسين وأقوالهم، فاشتاق أن يُكرّس حياته لله مثلهم.

+ فمضي الي ديره، ولما تأكد أبوه الروحي من جدّيته ومحبته للرب ولحياة التكريس الكامل، رسمه راهباً. ثم توّحد بالجبل.

+ وكان لابُد أن يحاربه عدو الخير بالطبع، كما هي عادته (ابن سيراخ ٢:١).

+ فاختار إبليس أسلوب حرب الشهوة المباشرة، فوضع فكراً دنساً في قلب إمرأة، من جهة القديس مرتينيان،

---

(1) Palladius, The paradise of the Holy Fathers, Appendix.

(راجع ترجمتنا العربية، طبعة المحبة - بعنوان «بستان القديسين»).

وأرسلها عدو الخير له في البرية. وحملت معها ملابسها الخليعة، وأدوات زينتها، في حقيبة، وأرشدها الشيطان الي مكانه.

+ ووصلت اليه عند غروب الشمس، وقالت: «افتح لي الباب يا قديس مارتينيان». ثم بكت وأعلنت أن الوحوش ستأكلها إن هي نامت في الخلاء!! ثم بدأت تكذب مُدعّية بأنها كانت في رحلة، وقد تاهت عن باقي القافلة في الصحراء.

+ ولما لم يجد القديس بُداً من إبقائها عنده حتي الصباح، قام بادخالها الي قلايته الخارجية، ثم دخل هو الي قلايته الداخلية، وأغلق الباب الفاصل بينهما.

+ ثم خلعت المرأة الفاسدة ملابس السفر المحتشمة وإرتدت الملابس الخليعة وتعطرّت، وأعلنت له أنها يتيمة وأنها غنية، وأنها تريد أن يذهب معها لبيتها ليتمتعاً معاً بالحياة المادية اللذيذة، في ظل الزوجية المقدسة.

+ وطلب القديس أن يفكر في الأمر. وخرج خارج

القلاية، فنخسه الروح القدس ووبخه ضميره. ثم أشعل ناراً في الأعشاب، وسأل نفسه إن كان يقدر أن يحتّملها، فما بالك من نار جهنم المُعدة أصلاً لإبلس وجنوده؟!

+ ولما إحترق أصبعه صرخ من الألم. فأسرعت المرأة، وركعت تحت قدميه وهي تبكي. مُعلنةً خطأها ونيتها للتوبة، وكشفت له أن الشيطان هو الذي خدعها، وملأ قلبها بالهيام والغرام به.

+ وهكذا كسب مارتينيان هذه النفس للمسيح. فقامت ببيع كل أملاكها ووزعتها علي المساكين، وقضت بقية حياتها في توبة نقية، في دير للراهبات. والعبرة دائماً بالنهاية السعيدة، وليس بالبداية الشقية في حياة الدنس والخطية.

+ وفكّر القديس مارتينيان أنه إذا ما بقي في البرية، فربما جاءت اليه إنسانة أخري، يدفع بها عدو الخير في طريقه. فعاش في جزيرة وسط البحر، لا تستطيع إحداهن أن تصل إليه فيها.

+ ولكن عدو الخير أرسل له إمرأة أخري في الجزيرة المائية!! فبينما كان يمارس عبادته في هدوء سمع صوت استغاثة من إمرأة أُنقِذَت من سفينة غارقة، وصعدت الي شاطيء الجزيرة، وقررت أن تعيش بجواره لتعبد الله معه، شكراً علي نجاتها من الموت.

+ ويذكر القديس بلاديوس أنه مع أن القديس مارتينيان قد طعن في السن وضعفت قوته في جهاده الطويل، ولكنه خشي علي نفسه من وجود إمرأة بجواره – في جزيرة مهجورة – مهما بدت أهدافها السامية.

+ لذلك طرح نفسه في المياه هرباً منها وحتي لا يغرق في بحر فكر الشهوة!!

+ فلما عرفت المرأة بهدفه الحقيقي، وهو الهرب من مكان العثرة، رحلت عنه. فعاد الي الجزيرة، وقضي بها بقية عمره مع الله، ليتمتَّع به في دنياه وسماه. وطوبي لمن لزم التوبة حتي يمكن الي الرب، كما قال القديس أنطونيوس. بركة صلوات الجميع تكون معنا، آمين.

(٥٣) القديس أنبا أبوللو السائح

+ وُلِدَ بجنوب طيبة (الأقصر) في بداية القرن ٤م. ولما بلغ عمره ١٥ سنة هرب - بحكمة عالية - للبرية. وظل بها حتي بلغ عمره ٤٠ عاماً، حيث سمع صوت الرب يدعوه إلي الذهاب لمصر (القديمة) لمحاربة الوثنية الباقية هناك.

+ فصرخ إلي الرب وقال: «أخشي يارب أن تملئني هذه المهمة افتخاراً علي إخوتي». فقال له الرب: «لا تخف، بل ألقِ بيدك خلف رأسك، والشيء الذي ستجده بين كتفيك ادفنه في الرمل». فأمسك القديس بشيطان أسود ودفنه وهو يقاوم ويقول له: «أنا شيطان الغرور»!!

+ فذهب الي المدينة ومكث في مغارة قريبة، يصلي ليل نهار، وكانت البلاد تعاني من اضطهاد شديد ضد المسيحيين بيد الامبراطور يوليانوس الجاحد.

+ ولما ذهب لزيارة راهب في سجنه، قبض عليه الحراس

وحبسوه معه، ولكن ملاك الرب جاء إليه وأخرجه.
وقام القديس أبوللو بتأسيس دير. وكان يدعو الرهبان للتناول من الأسرار المقدسة يومياً وقال:

* «إن التناول يقرّب من الله. ومن ابتعد عنه يبتعد عن الله» (وهي كلمة مُوجّهة للكل اليوم).

+ كما عرفوا عنه أنه **كان مملوءاً فرحاً**. وكان يقول لتلاميذه: «يجب أن **نفرح دائماً، لأننا ورثة ملكوت السموات السعيد**»(١).

+ وإن كان اهتمامه الاكبر بالرهبان، لكن ذلك الأمر لم يمنعه من الاهتمام بالوثنيين، ونشر الإيمان والسلام بينهم. وتأييد إيمانه بالمعجزات.

+ وقد زاره بعض الرهبان في البرية - ليلة عيد للقيامة

(١) الذي يداوم علي وسائط النعمة من صوم وصلاة ومطانيات واعتراف وتناول ودراسات وتأملات وخدمة وعمل خير... الخ. يمتلئ بالروح القدس، فيفيض عليه بثماره، ومنها «محبة + فرح + سلام» (غل ٥:٢٢) .

– ولم يكن لديه سوي بعض الخبز الجاف القليل جداً. فقال لهم: «هلُم نصلي حتي يرزقنا الله بما نأكله».

+ وبعد الصلاة – رأي الزوار في الليل – قافلة من الجِمَال تحمل الخبز وحلوي وعسل ولبن وتين وعنب وتمر وزيتون. فتعجَّب الزوار وسألوا الرجال فقالوا لهم إنهم مُرْسلون من عند سيد عظيم (المسيح). ثم اختفوا علي الفور!!

+ وقد بارك الرب هذا الطعام. فلم يفرغ لمدة ٤ أشهر كاملة، رغم أن البلاد كانت تعاني من مجاعة شديدة. وكان القديس يوزع علي الجوعي من الخبز، وقال للرهبان بايمان «إن سلال الخبز لن تنقص إلي أن يحين موعد حصاد القمح، في الموسم الجديد»!! وهو ماحدث بالفعل!!

+ وبعدما بلغ القديس أبوللو عامه الثمانين، رقد في الرب بسلام، بركة صلواته وشفاعته تكون معنا، آمين.

(٥٤) القديس يوحنا الدرجي السائح

+ وُلِد بفلسطين سنة ٥٢٥م، وعاش في سن السادسة عشرة - في برية سيناء - مجاهداً مع النعمة. وبعد فترة قصيرة رحل مُرشده الروحي الراهب مارتيريوس (شهيد) فترك الدير وعاش في صحراء سيناء وحده مجاهداً لمدة ٤٠ سنة، وكتب خلالها كثير من التأملات الروحية النافعة.

+ ومما قاله «**لا تتضايق من الذين يصنعون إكليلك**» {فيجب أن يشكر المرء كل من يُسيء اليه ويدعو له بالرحمة (مثل الشهيد اسطفانوس) ولا يدعو عليه لينتقم الله منه، لأنه سينال إكليله باحتمال تصرفات سلبية صغيرة، ويكون باحتماله للناس بجوار الشهداء والمعترفين بالإيمان}.

+ وعاش القديس في مغارة صغيرة، في أسفل جبل سيناء. وكان يصلي هناك ويكتب فيها أقواله الرائعة (راجع كتابه: «سلّم الفضائل»).

+ وكان يلجأ اليه كل من يعاني آلاماً نفسية حادة أو تجارب قاسية، فكان يصلي ويرشد لحل المشكلة ويعود الحزين فرحاً بالروح القدس.

+ وقد عاني من الحسد والغيرة والتشكيك في طهارته. فتوقّف عن اللقاءات مع الرهبان.وصام عن الكلام لمدة عام، إلي أن دافع الرب عنه وهو صامت، وأحس حاسديه بالذنب، فجاءوا يطلبون سماحه. وبدأ من جديد لقاءاته بالرهبان وتقديم كلماته وعظاته الروحية العظيمة الفائدة.

+ وعندما أُختير رئيساً لدير بسيناء، جاءه نحو ٦٠٠ زائر دفعة واحدة. ولم يجد مايُقدّمه لهم من طعام، وإذ به يري رجلاً طويل القامة، يأتي بطعام – من مكان غير معلوم – وأشبع الجموع، فشكروه علي كرم ضيافته، وكان هذا الزائر الغريب هو موسي النبي بسبب إنه كان يرتدي ملابس العبرانيين القُدَماء!!

+ ولما حدث جفاف للزراعات وماتت الحيوانات من قلة

المياه في فلسطين والصحراء العربية، فصلي القديس الي اللّه، فسقطت أمطار غزيرة.

+ وبعد سنوات أوكل مهام الدير الي شقيقه الراهب جرجس. ثم قضي الفترة الأخيرة من عمره، في مغارته الأولي. وتنيّح سنة ٦٠٥م، بعدما قال لأخيه إنه سيلحق به بعد عام، وهو ماحدث بالفعل، بركة شفاعتهما تكون معنا، آمين.

+ + +

(٥٥) القديس فرونتون السائح

+ كان يعيش في الفضيلة الجميلة، وكان كل أصدقائه من المؤمنين المُحبين لتعاليم الإنجيل، وكانت اجتماعتهم كلها للتأمل والعبادة. فوافقوا صديقهم فرونتون علي العبادة في البرّية. والتخلّي عن كل مباهج الدنيا، ليتمتعوا بالأبدية، مُنفذّين قول الرب: «لا تهتموا بما للجسد... وإنما اطلبوا أولاً ملكوت الله وبّره، وهذه (الماديات) كلها تُزاد لكم» (مت ٦:٣٢).

+ وقد عانت هذه الصُحبة المباركة من سياحة الصحراء حيث حرارة جو الصيف وبرودة جو الشتاء، بلا غطاء ولا كساء. مع أذى الحشرات، مثل تكاثر البعوض والثعابين السامة. ومحاربات عدو الخير، الذي كان يرسل لهم الافكار للرجوع للعيش في المدينة، بدلاً من البريَّة القاسية.

+ ولما حاربهم إبليس بالجوع، أرسل الرب ملاكه لرجل غني بالاسكندرية ليرسل لهم طعاماً في الصحراء، وكرر الرب الرؤيا له؛ وكلام الملاك صار له بشكل أكثر حدّة. فجمع ٦٥ جملاً وحملّها بالخيرات وربطها في أذيالها، وتركها تنطلق وحدها، لأنه لا يعرف مكان هؤلاء السُوّاح في جوف الصحراء. فتولّي الملاك قيادتها إليهم.

+ ووصلت الجمال عندهم، فأخذوا نصف الكميات التي تحملها، وأعادوا الباقي، حيث أوصلها ملاك الرب الي صاحبها. فوزع الباقي علي المساكين، وظل يرسل للسواح طعامهم في حينه. فما أعظم الاتكال علي الله، المُدبّر للبشر كل حاجاتهم.فله الشُكر.

(٥٦) القديس انسطاسيوس السينائي

+ وُلِد في بداية القرن السابع، وتلقي علومه المسيحية منذ صغره. وكان يحب قراءة الكتاب المقدس، والتناول من الأسرار المقدسة. وقاده ميله ومحبته للّه إلي الاختلاء به في سن صغيرة(١).

+ فعاش فوق جبل سيناء في سكون وتأمل وزُهد وعبادة حارة. ومع أنه مال للوحدة، لكنه شارك في محاربة الهرطقات المعاصرة له في الاسكندرية وسوريا وبلاد العرب.

+ وقد كانت عظاته جميلة، ومليئة بالتأملات الرائعة. ومن أشهر مؤلفاته الروحية كتاب «مُرشد الحياة». وقد عاش نحو مائة عام، ورحل في هدوء، في قلايته التي فوق الجبل، صلاته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

---

(١) من الحكمة العالية أن نذكر خالقنا في شبابنا (جا ١٢:١).وكلما بكرّنا في الحياة مع اللّه، كلما زدّنا سعادة في الدارين.



(٥٧) القديس بيؤر السائح

+ تتلمذ علي يد القديس أنبا أنطونيوس الكبير، منذ أن كان صبياً. وسلك في جهاد الرهبنة والنُسك، إلي أن بلغ عمره ٢٥ سنة. فتوغل في جوف الصحراء، بناءً علي أمر مُعلمه الذي قال له: «عش في الوحدة، ولا تعُد إلي الدير، إلي أن يدعوك الله».

+ فاستقر في منطقة صحراوية بين نتريا وبرية شيهيت، وحفر لنفسه بئراً، وكان طعم المياه مالحاً بدرجة لا يمكن شربها، ومع ذلك كان يشرب منها!!

+ وبقي في هذه المنطقة لمدة ٣٠ عاماً، رغم محاولات كثيرة من الأخوة لكي يذهب الي منطقة أخري، تكون الحياة فيها أسهل بعض الشيء، فكان جوابه الرفض دائماً، وكان طعامه اليومي لقمة وبضع حبات من الزيتون.

+ ومع أن القديس بيؤر كان شديداً في محاسبة وإدانة ذاته، لكنه لم يَقْبل ولا يرضَي أن يُدين أحداً. وقد حدث أن أخطأ راهب، فاستدعوا القديس للمشاركة في محاكمته. فجاء يحمل زكيبة مملوءة رملاً. وأعلن لهم أن الرمل الثقيل يمثل خطاياه التي يحملها ويبكي

عليها باستمرار، أما حفنة التراب التي تتساقط منها فهي تُمثّل خطية الراهب. وبذلك أعطاهم درساً عملياً في الصفح والسماح للخاطيء المريض بالخطية.

+ وذات مرة عمل في حقل على حافة الصحراء، وطالب بأجرته. فلم يعطه صاحبه، ولكنه عمل عنده أيضاً لمدة ٣ سنوات في صمت. فبحث عنه صاحب الحقل - بعدما أنبّه ضميره - حتي وجده،وأعطاه حقّه كاملاً عن المواسم السابقة الثلاثة!

+ ويذكر د. بول شينو[١] أنه تنيّح عن سن كبيرة، بعدما عاش في مغارة لم يتمكن أحد من العيش فيها، لشظف العيش وقسوة الحياة في تلك البقعة، بعدما تدّرب طويلاً علي الجدّية وإحتمال ظروف الطبيعة القاسية منذ صباه«وجيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه»، كما قال إرميا النبي، في مراثيه (مراثي ٣:٢٧).

---

(١) راجع كتابنا: "القديسون المصريون" (طبع مكتبة المحبة) ص ٢٤٩.



(٥٨) القديس صيصوي (شيشوي) السائح

+ كان من أعظم الشخصيات التي أضاءت برية شيهيت، وجبال البحر الأحمر. وقد تتلّمذ – وهو صغير السن – علي يد القديس أنبا هور، فنما في درجات الروحانية بهمة وعزيمة، حتي وهبه الله عمل المعجزات، وإخراج الشياطين وشفاء المرضي. ووصلت به الحال إلي أنه أقام أمواتاً بمساعدة الرب.

+ وكان يمتاز بالمحبة والوداعة والحكمة واحتمال الناس. وكان البعض يلجأون اليه طلباً للنصيحة والمشورة الصالحة. كما كانت له مقدرة كبيرة علي رد الخُطاة وضعاف الإيمان – إلي طريق المسيح، **دون أن يدين أحداً أو يوبخ أو يلوم أي خاطيء، بل كان دائم الحنو عليهم** (مثل مُخلِّصه الصالح الذي اعتبر الخطاة «**مرضي**»، في حاجة لعلاج لا عقاب ولا عتاب). ومال إلي تشجيع الضُعَفاء، ونُصحهم بهدوء.

+ ومرة جاءه راهب غاضب من تصرُّفات زميله؛ فقال

له القديس: «دع الله يأخذ لك حقك»، فقال له: «أنا آسف يا أبي، لأنني لا أقدر أن أُطيعَك، لأنه لن يرتاح قلبي إلا بعدما أنتقم للإساءة. وهذا هو حقي»!!

+ فقام القديس ليصلي معه وقال: «يارب اغفر لي أسلوبي هذا، ونحن لم نعُد في حاجة إلي عنايتك بنا، لأننا ننوي أن نأخذ حقنا بيدنا، ونعاقب - بأنفسنا - من أساء الينا». فأخذ الغاضب الدرس (وقد تساءل قديس وقال: «بأي وجه تطلب من الرب أن يسامحك وأنت لا تسامح الناس؟!»).

+ وقد ظل القديس صيصوي في الصحراء عشرة أشهر، لم يرّ فيها وجه إنسانٍ، وبعد ذلك قابل صياداً، فسأله عن مكانه ومدة إقامته في الجبال الشرقية؟! فأعلن له إنه من سيناء وله إحدي عشر شهراً في عملية الصيد، ولم يقابل فيها أحداً من الناس.

* فعاد الي قلايته وهو يقرع صدره، ويُخاطب ذاته قائلاً:

«يا صيصوي المسكين، كُنت تظن أنك فعلت شيئاً يُذكر، وهوذا صياد بسيط يتفوّق عليك».

+ وقد حاربه عدو الخير، عندما كان يقيم في الصحراء الشرقية قُرب القلزم (السويس) ودقت الشياطين قلايته بشدة وهو راقد في مرضه، فقال: «إنه أنا صيصوي الذي أُقيم هنا، وأرقد علي فراشي، ادخلوا لو كنتم تستطيعون».ففرت الشياطين!!

+ وذات مرة ذهب شاب مع أبيه لزيارة القديس في الجبل، ولكنه شعر بالتعب ثم مات. فحمله أبوه علي كتفه، ووضع جثته أمام باب مغارة أنبا صيصوي، ولم يتكلم، فلما خرج القديس ورأي أبوه الصامت، قال بصوتٍ حنون: «قم يا ابني واذهب مع أبيك».

+ فقام الميت وجري وراء أبيه، الذي مضي الي الدير وقص ماحدث، وكان القديس في شيخوخته بالمرض الذي أقعده، ولكنه لم يتوقف عن جهاده ضد الشياطين. فنقلوه الي الدير، ليقوموا بخدمته.

+ ولما جاءت ساعته أضاء وجهه. فرأي الملائكة والرسل والقديسين. وكان يتحدث مع أُناسٍ غير مرئيين فسألوه: «يا أبتاه، مع مَنْ تتحدث؟!».

+ فقال للمجتمعين حوله باتضاع: «لقد جاءت الملائكة ليأخذوني، ولكنني قد رجوتهم أن يتركوني علي الأرض بعض الوقت، حتي أُكمِّل توبتي عن ذنوبي»!!

+ فقالوا له مستدركين: «ولكن يا أبانا، أنت غير مُحتاج إلي التوبة عن أية ذنوب؟!» فقال بأنسحاق: «الحق أقول لكم ياأولادي إنني أشعر أنني مازلت في بداية الطريق» (الروحي).

+ ثم أضاء وجهه بلمعان أشد، ورقد بسكون، سنة ٤٢٩م، وكان له من العُمر ٧٢ سنة. وفور صعود روحه للسماء إنبعثت رائحة طيبة جداً في كل أرجاء قلايته، بركة صلواته تكون معنا، آمين.

+ + +

(٥٩) القديس بسطس السائح

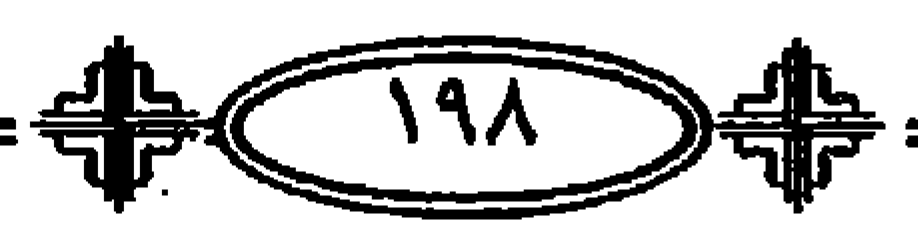
+ يذكر شينو(١) أن هذا القديس وُلِد في ضواحي مدينة ڤيينا (Vienna) {بالنمسا حالياً} في بداية القرن الرابع. ونشأ في أسرة مسيحية مؤمنة، فنما في وسط مظاهر التقوي والرحمة والصلاح (بيئة روحية صالحة) ورُسِم شماساً (deacon).

+ ورُسم أسقفاً لمدينة ليون الفرنسية سنة ٣٧٤م. فنشر الفضائل بين شعبه، وكان صديقاً للقديس امبروسيوس الكبير أسقف ميلانو، الذي أوكل إليه إدارة شئون اسقفيته، وقرر أن يعيش في البريَّة المصرية.

+ ولما حضر إلي مصر أخفي شخصيته وعاش سنوات طويلة في جوف الصحراء مقلداً النُساك الاقباط، دون أن يشعر أحد بشخصيته الدينية.

+ ولما نما في النعمة عاش في وحدة، وصار مثل القديس

(1) Paul Cheneau, Les Saints d'Egypte.
(وترجمتنا ص ٣٢٢ – ٣٢٤).



أنبـا بـولا أول السُوَّاح، وكان الرب يرسل له طعامه – كل يوم – عن طريق غـراب، فـاسـتطاع أن يحـفظ الرب حـيـاتـه بهـذه الوسـيلة في تـلك الصـحـراء القاحلة.

+ وكان كل فترة يذهب لأقرب دير – سيراً علي قدميه – لكي يتناول من الأسرار المقدسة، ويأخذ كلمة منفعة لخلاص نفسه، من فم كبار القديسين.

+ وبينما كان بالكنيسة – ذات مرة – زارها شـخص من ليون (بفرنسا) أي من مقر إيبارشيته. وظل يُحَمِلق فيه، ولكنه عرفه، مع أن وجهه الجميل لم يغيّره الزهد الشديد، وطبيعة الصحراء.

+ فلما تأكد أنه الأسقف چوست (St. Justus = عادل) تهلل فـرحـاً. وقبّله، فـأنكشف سره، وعـرف الآباء أنه أسقف. وأنه سار بالاتضاع وانكار الذات، مدّعياً أنه كان أحقر الرهبان. وأكثرهم استحقاقاً للنعمة والرحمة!!

+ وقد أعطاه الله موهبة التنبؤ، فعرف زواره الذين جاءوا من فرنسا،لأخذ بركته، قبل وصولهم إلي مصر.

+ وفي عام ٣٩٠م تنيّح القديس يُسطس، بعدما أعلم صديقه فياتور بقرب نياحته. كما أخبره بأنه سيلحق به، بعد رحيله من العالم بقليل.

+ وعندما علمت مدينة ليون (الفرنسية) بنياحة أسقفها البار في صحراء مصر، أرسلت بمجموعة من كهنتها وحملت جسده الطاهر، حيث أُقيمت له كنيسة تحمل إسمه هناك، ولكن للأسف في (عام ١٥٦٢م) قامت جماعة من أتباع الزعيم البروتستانتي المنحرف «كالڤن» (Calvin) بحرق رفات القديس، وتدمير كنيسته، لعدم الاعتراف بشفاعة القديسين، رغم تأكيدات الكتاب عليها[1] في العهدين.

+ + +

(١) راجع كتابنا: «عن الشفاعة» (طبع مكتبة المحبة).



(٦٠) القديس إيلاريون السائح

+ وُلِد هذا القديس سنة ٢٩١م. بجنوب غزة. وألحقاه والداه بمدرسة الاسكندرية المرقسية، للاستزادة من العلوم الدينية.

+ وسمع هناك عن سيرة القديس أنبا أنطونيوس، وكان لم يزل بعد في سن الخامسة عشرة، فمضي إليه للتتلمذ علي يده!

+ ثم مضي الي مدينته في غزة، فعلم أن والديه قد ماتا، فوزع أملاكه علي المساكين، ورحل الي صحراء فلسطين، رغم محاولة إخوته وأقاربه إبعاد هذه الفكرة عنه، مشفقين عليه من صعوبة الحياة في البرية الحارة والجافة هناك.

+ ولكن كل هذا لم يُبعده عن هدفه (خلاص نفسه) وكان قد أخذ عباءة من الجلد، أهداها له القديس أنطونيوس، وظل يرتديها - لسنوات طويلة - حتي تمزقت تماماً.

+ واكتفي الشاب إيلاريون (Hilarion) بالصوم طول النهار، وتناول بعض ثمار التين المخفف، كلما حلَّ المساء. وعمل الحبال وبيعها، كما كانت أعظم متعة له هي قراءة الكتاب المقدس باستمرار، حتي حفظ جزءاً كبيراً منه عن ظهر قلب (وهو درس هام لكل نفس).

+ وكان كلما نما في النعمة والقامة يُضاعف من أصوامه وجهاده وسهره الروحي. واكتفي - لمدة ٣ سنوات - بقليل من حبات العدس المبلول، يأكلها كل عدة أيام، ثم صار يتناول كسرة خبز وملح، وقليل من الماء فقط. وأما في شيخوخته فقد صار يقتات ببعض الأعشاب والبقول.

+ وحاول بعض اللصوص سرقة قلايته، ولكنهم لم يصلوا إلي بابها، وفي الصباح رأوه، وسألوه ماذا يفعل إذا هاجمه لصوص؟ فرّد عليهم بهدوء وحكمة: «من لا يمتلك شيئاً لا يخاف من أن يسرقه لصوص».

+ ثم استدركوا قائلين: «ولكن يمكن أن يقتلوك»؟! فقال:



لهم: «إنني لا أخشي القتل، لأنني لا أهاب الموت» (فهو مِعْبر إلي الحياة الأبدية السعيدة).

+ فتعجبّ اللصوص من قوة إيمانه، واعترفوا له بأنهم كانوا يريدون سرقته، ولكن قلايته أُخفيت عنهم، وأعلنوا توبتهم عن السرقة.

+ ثم ذهب القديس الي قلب سيناء، حيث كانت تعيش بعض قبائل بدوية وثنية منغمسَة في الدنس بشدة، فكسب منهم كثيرين للمسيح. وأُختير لهم أسقف، ساهم في اجتماعات مجمع أفسس المسكوني سنة ٤٣١م.

+ ويذكر شينو(١) أن سيدة فقدت بصرها منذ عشر سنوات، وفشلت كل العلاجات التي أنفقت فيها أموالاً كثيرة بلا فائدة، فأتت إليه تطلب شفاعته لله، لتسترد بصرها. فقال لها (وكدرس لكل الناس) «لو أنكِ أنفقتي كل هذا المال علي المساكين والمحتاجين لكان الرب يسوع قد تحنن عليكِ وشفاكِ، بدون شك».

(١) شينو، المصدر السابق، ترجمتنا وطبع مكتبة المحبة، ص ٣٨٥.



+ وتحنن عليها – وصنع طيناً – مثل يسوع – وطلي عينيها. فأبصرت في الحال، ومجدت الله، الذي قبِلَ شفاعة إبنه المبارك من أجلها.

+ولما كثر تلاميذه، ورأي الصحراء (في غزة) تُعمّر بالرهبان من حوله، بكي وقال: «إني عُدت أعيش من جديد في (زحمة) العالم».

+ ثم توّجه إلي جبال البحر الأحمر، ومكث هناك سنتين في ظروف مناخية قاسية. وكانت الحرارة شديدة، ولم تسقط الأمطار، فصلي لأجل البدو فسقطت أمطار غزيرة. وخرجت الحيات والزواحف السامة من جحورها وشقوقها ولدغت بعض البدو، فدهنهم بالزيت ونالوا الشفاء. ثم تركهم الي الاسكندرية. ومنها اتجه للواحة الداخلة (بالصحراء الغربية) بعد سفر عدة أيام في الصحراء القاحلة.

+ ولما عرفه المسيحيون المنفيون بسبب الاضطهاد، اضطر أن يهرب من مديح الناس الي جزيرة صقلية.

ولما لم يكن معه مالاً تركوه يركب مجاناً. وخاصة بعدما شفي القديس إبنة قائد السفينة. وكان بها روح نجس، أخرجه منها.

+ وعاش القديس في غابة بالجزيرة، ولكن أحد رجال الدولة صرعه شيطان، ونطق علي لسانه بأنه لن يخرج منه إلا بمعرفة القديس إيلاريون بصقلية. فذهب اليها، ولما بحث عنه وعثر عليه، خرج منه الشيطان بمجرد سلامه عليه فقط!

+ وأذاع رجل يهودي معجزات القديس هيلاريون في صقلية، فعرفه أحد تلاميذه، ومضي اليه. وذهبا معاً الي دلماطيا (علي بحر الأدرياتيك) وهناك أشفق علي قرية يهاجمها ثعبان ضخم. فأحرقه القديس داخل غابة.

+ وفي عام ٣٦٥م حدث زلزال عظيم، وكان مصحوباً بأمواج شديدة كالطوفان. فتوجه سكان القرية الي كوخ القديس إيلاريون، وحملوه بالقوة نحو الشاطيء، فرشم علامة الصليب علي البحر، فهدأ الموج!

+ فاضطر القديس أن يهرب من المجد الباطل كعادته. ولما كان مكانه ينكشف دائماً. لذلك قرر أن يتجه من هناك الي صعيد مصر، حيث يسكن صحراء النوبة، وسط قبائل بدائية وثنية قاسية، لكن القديس إبيفانيوس أسقف قبرص، قد افلح في إقناعه بأن يُقِيم علي جبل عالٍ في جزيرة قبرص.

+ ولكن السنوات الأخيرة من حياته علي الارض قضاها في مغارة في الصحراء المصرية. ثم استدعي تلاميذه، وأوصاهم أن يدفنوه بملابسه في مغارته. ولكن بعد عشرة أشهر عرف أهله بمكان دفنه، فأتوا ونقلوا جسده الي فلسطين، وكان في ذلك الوقت لايزال محتفظاً بليونته، وتنبعث منه رائحة جميلة جداً (علي عكس أجساد أهل الفساد).

+ ثم أرسل الملك شرلمان – امبراطور فرنسا – لنقل جسده، الذي تم العثور عليه سليماً تحت انقاض دير قديم بفلسطين. كما أخذ رجاله جسدّي القديسين أنبا أغاثون وأنبا بيمن من آباء برية شيهيت.

فحملوهم معهم الي فرنسا، حيث كان يتم الاحتفال بهم احتفالاً روحياً عظيماً، كل خمس سنوات هناك[١]، شفاعتهم وصلواتهم تكون معنا، آمين.

+ + +

(٦١) القديس الشهيد مارمينا (العجائبي) السائح

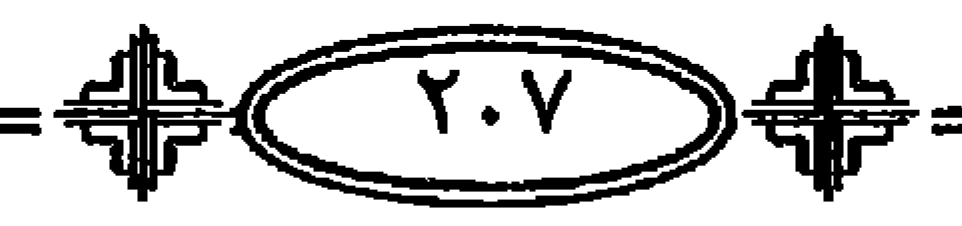
+ نجد نصوصاً كثيرة عن سيرته وعن حياته وأماكن خدمته في الجيش واستشهاده[٢]، ورأينا أن نلخصها – نقلاً عن المخطوطات القبطية – فيما يلي:-

+ كانت أمه أوفيمية عاقراً، وكان والده أوذكسيوس والياً، من نيقيوس. وقد ذهبت الي كنيسة العذراء بأتريب (بنها) وصلّت بدموع، فسمعت صوتاً بالكنيسة يقول «آمين»، فرزقها الله بإبن ـ حسب إيمانها ـ وأسمته «مينا».

---

(1) * Jerome, Vie de Saints.
* Sozoméne, His. Eccles., 3.
* Nicéphore Calliste, Hist. Eccles., ix.

(٢) راجع شينو، المصدر السابق، ترجمتنا ص ٤٠٣ – ٤١٠ .



+ وقد تم نقل والده الي الخمس مدن الغربية (ليبيا).

+وانتقل والداه لعالم المجد وكان لم يزل بعـــــد، في سنٍ صغيرة. ثم التحق مجنداً بالجيش الروماني.

+ ولما أصدر دقلديانوس وزميله مكسيميانوس منشوراً بعبادة الأوثان وإغلاق الكنائس، وزاد الاضطهاد، ترك مينا الجيش وباع كل أملاك أبيه ومضي الي الصحراء، حيث ظل يتعبد بها لمدة ٥ سنوات، وكان رجل يأتيه بالخبز والماء هناك كل عدة أشهر.

+ ولما رأي القديس الملائكة وهي تنزل بأكاليل للشهداء، اشتهي أن ينال إكليله مثلهم، فوعده الله بثلاثة أكاليل (البتولية + النُسك + إكليل الشهادة).

+ فمضي الي مدينة ساحلية ودخل ملعبها – يوم عيد وثني – واعترف بأنه مسيحي. فتعجب الوالي بيروس من وجوده في ساحة الملعب. واغتاظ من جرأته، ومن تعكير صفو الحفل. فأجّل محاكمته لليوم التالي.

+ وخلال محكامته تعرّف عليه جندي، وقال للحاكم إنه فر من كتيبته منذ خمس سنوات. فاعترف الشهيد بأنه ترك الخدمة العسكرية، ليعيش مع الله.

+ وقال رداً على سؤاله: «كُنت أحيا في الصحراء، كناسك وسط الوحوش، لأجل خلاص نفسي».

+ فقال له الوالي: «إن أردت أن تنجو بنفسك، فعليك بالتبخير للآلهة (الأوثان)، وبعد ذلك سأعيدك الي الجيش، وأعطي لك ترقية ومكافأة».

+ فقال له القديس: «إن عرضك طيِّب، ولكن أملي الوحيد أن أُرضي إلهي، فأستحق الاكليل الموعود به... وأرجوك ألاَّ تُضيِّع وقتك في محاولة إقناعي – أو إرهابي – فلن يؤثر فيَّ إحداهما أو كلاهما».

+ ثم قام الوالي بتعذيبه بسلسلة تعذيبات كثيرة وطويلة ومتنوعة. وبعد ذلك أمر بقطع رأسه. فصلي القديس لله وشكره علي الاكليل، **ثم دَعَا بالبَرَكَة للسياف الذي**

أطاح برأسه، لأنه سينال أكليلاً عظيماً في الملكوت الأبدي (وهو درس لكل نفس).

+ ولما فشلوا في حرق جسده الطاهر، أخذه بعض زملائه المسيحيين الي مصر، حيث تم دفنه في مريوط، وكان عمره ٢٤ سنة فقط، (عام ٣٠٩م).

+ ولما تم العثور علي جسده الطاهر في أواخر القرن الرابع قام الامبراطوران البيزنطيان أركاديوس وهونوريوس ببناء كنيسة ضخمة وفخمة في مريوط، وتكاثرت بها المعجزات. وقد تم تخريبها تماماً في العصر العربي، ولكن في عهد قداسة البابا كيرلس السادس تم بناء دير مريوط بجوار آثار الكنيسة القديمة، ولا تزال تكثر معجزاته هناك للآن. مما أدي إلي تسميته بالشهيد **«مارمينا العجايبي»** بركة شفاعته تكون معنا، آمين[1].

(١) راجع كتابنا: «كنيسة الخمس المدن الغربية» (مطرانية البحيرة ١٩٨٧) ص ٤٠٢ – ٤١٠

+ Drescher, Apa Mena, Pub. de la Soc. Arch. Copte, I- - x.



(٦٢) القديس قزمان السائح ببرية سيناء

أحتمال التجربة من أجل الله:

+ روي شيخ للقديس بلاديوس[١] إنه كان في جبل سيناء مُتوحد شيخ يسمي قزمان، وقد تعرّض لتجربة شيطانية ظلماً. فقد ذهب شخص عربي لزيارة أحد البدو في صحراء سيناء. وكان يُقيم بالقرب من القديس قزمان في خيمة هناك.

+ فاعتدي الضيف علي إبنة البدوي لما رآها وحدها، ولقّنها أن تقول أن الراهب قزمان هو الذي فعل الشر معها. فلما جاء أبوها قالت له هكذا كذباً.

+ فأخذ البدوي سيفه وجاء غاضباً لمكان الشيخ قزمان، ولما قرع الباب، فتح له القديس، ورفع البدوي سيفه ليذبحه غسلاً لعاره، فأُصيبت يده بالشلل!!

+ ومع ذلك مضي إلي الكنيسة وأحضر الرهبان وكشف

---

(١) بلاديوس، بستان القديسين، ترجمتنا، طبع مكتبة المحبة ص ٥٠٨ .



لهم ما إدعته إبنته - فأرسل الآباء اليه واستدعوه من مغارته، وصدَّقوا البدوي، وجلدوا القديس جلدات عديدة، وكان يتوسل اليهم ألا يطردوه من الكنيسة.

+ فأبعدوه عن الإخوة لمدة ثلاث سنوات، ومنعوهم من زيارته في وحدته، حيث مكث ثلاثة أعوام، وأخيراً دخل الشيطان في جسد الشخص الذي أرتكب الدنس مع إبنة البدوي، ودفعه ليعترف به علناً.

+ فلما عُرفت الحقيقة توّجه الرهبان إلي القديس قزمان، ليسامحهم علي ظلمهم له. فأعلن لهم أنه قد سامحهم. وأنه يُفضّل الوحدة التامة، بعيداً عن الكل، وظل في خلُوة إلي أن رحل إلي السماء، صلاته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٦٣) القديس غريغوريوس الأرمني السائح

سنوات في جُب مع الرب:

+ وُلِد هذا القديس في بلاد أرمينيا نحو عام ٢٥٧م،



وكان من أسرة ملكية، وبينما كان ملكها في النزع الأخير أمـبـــر ،بقتل كل أسرته ولكن الطفل تم تهريبه إلي قيصرية كبادوكية (بآسيا الصغري) حيث تم تعميده وتسمي «غريغوريوس» ونما في النعمة.

+ وقد تم القبض علي القديس الشاب، لرفضه عبادة الأصنام، عندما عاد إلي أرمينيا. وقام ملكها بتعذيبه أثني عشر تعذيباً، حسب رواية السنكسار القبطي (١٥ كيهك) وقد احتملها القديس بمعونة الله وبصبر وشكر كثير.

+ وفي نهاية عامين من التعذيبات ألقاه ملك أرمينيا الوثني في جب مليء بالطين والحشرات، ولكن الرب حماه منها، كما حفظ دانيال النبي في جب الأسود.

+ وقد أرشد ملاك الرب سيدة مؤمنة أن تذهب إلي الجُب وتُلقي له الخبز يومياً، وظلت علي ذلك لمدة ١٥ سنة متواصلة!! وعاش القديس في الجب طوال هذه المدة يسبح الله.

+ ولما أصاب الشيطان الملك الأرمني الظالم وصار كالبهائم، سمعت أخته صوتاً يقول لها: إنه يمكن أن يُشفي أخوها الملك لو جاءوا بالقديس غريغوريوس من الجب. فتعجبت من هذا الأمر، لأن الجميع ظنوا أنه قد مات فيه منذ سنين طويلة.

+ وفعلاً تم إخراجه، وصلي من أجل الملك، وبشفاعته شفاه الله. وقد تمت رسامة القديس غريغوريوس الأرمني أسقفاً لبلاده، وبعدما رعى شعبه بأمانة مدة ثلاثين عاماً، اعتزل وعاش في البرية، ثم تنيّح بسلام عام ٣٢٢م شفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٦٤) القديس برسوم العريان السائح

محبة الله أكثر من محبة العالم الفاني:

+ كان هذا القديس من أسرة غنية في النعمة والمال، وكان والده كاتباً (سكرتيراً) للملكة شجرة الدُر (في أوائل القرن ١٣م).



+ ولما تنيّح والداه استولي خاله علي كل أمواله (ميراثه)، فلم يحتج ولم يحزن أو يشتكي، بل عاش عيشة السوّاح – خارج القاهرة – لمدة خمسة أعوام يُقاسِي حر الصيف وبرد الشتاء، بلا ملابس كافية.

+وعاش في مغارة مظلمة داخل كنيسة القديس مرقوريوس (أبي سيفين) بمصر القديمة – لمدة ٢٠ سنة، وكان يعيش معه فيها ثعبان ضخم، ولكن بصلواته انتزع الرب منه الطبيعة الوحشية فصار أليفاً!!

+ ولما حدث الاضطهاد علي الاقباط – في عهده – صعد الي سطح الكنيسة وظل يصلي للشعب المُضطهَد علناً، فتم ضربه وقيده وحبسه في السجن، فصار مكاناً جميلاً لعبادة الله في وحدته.

+ ثم طردوه إلي منطقة نائية، حيث كان يوجد بها دير شهران (بالمعصرة حالياً، شمال حلوان)، وظل مقيماً علي سطحه في العبادة الدائمة.

+ولما عرف الناس ببركة صلواته ومعجزاته أراد الملك الفاطمي الناصر أن يأخذه ليعيش في قصره، ولكنه أختفي.ولم يُعثَر له علي أثر، ثم عاد للظهور بالدير المذكور، وتنيّح به عام ١٣١٧م(١) ، شفاعته تكون معنا، آمين.

✠ ✠ ✠

(٦٥) القديس مكاريوس المصري السائح

أفضلية التكريس الكامل:

+ خير ختام لهذه الصُحبة المباركة من السوّاح والمتوحدين، تسجيل سيرة تلك الشخصية المُحبّة للمسيح، ويذكر السنكسار القبطي (٢٧ برمهات) أن أبواه كانا من الأبرار. وكان أبوه ابراهيم قساً، ولم يكن له نسل، فرأي رؤيا باعلان سماوي بميلاد طفل يقود روحانيين كثيرين، وأسماه أبوه مكاريوس (أي المبارك أو الطوباوي، وهو كذلك).

---

(١) أوليري، قديسو مصر، ترجمتنا ونشر مكتبة المحبة، ص ٩٤ ـ ٩٥ .



+ وقد زوّجه والداه، ولكنه عاش مع شريكته في حياة بتولية إلي أن تنيحت، كما تنيح والداه، فوزع ميراثه علي الفقراء. وتوحد علي أطراف قرية شبشير بمنوف، وأنه تمت رسامته كاهناً.

+ وكانت التجربة المعتادة من الشيطان لكل رجال اللّه (إبن سيراخ ٢:١) صعبة جداً، فقد أتهمته فتاة بالاعتداء علي عفافها، فجاء أهلها وضربوه وأهانوه وهو صامت كالحمل الوديع، فدافع الرب عنه في صمته.

+ فقد تألمت الفتاة الفاسدة بشدة عند الوضع، حتي أعترفت بأن القديس مكاريوس بريء.فلما علم بأهلها سيأتون للإعتذار عما صدر منهم ضده، هرب من المجد الباطل ودخل إلي البرّية حيث قضي بها ٦٠ سنة، وكان عمره ٣٠ سنة.

+ ولما ذهب أبو مقار (الكبير) للقديس أنطونيوس ألبسه إسكيم الرهبنة، وعاد إلي وادي النطرون، وصار له تلاميذ كثيرين، وله معجزات عظيمة وأقوال حكيمة وعظات كثيرة نافعة.



+ وفي أثناء الاضطهاد الأريوسي للأرثوذكس، تم نفي القديس أبي مقار (المصري) مع القديس مكاريوس الاسكندري - سنة ٣٧٤م - إلي منطقة صحراء النوبة، حيث عاني الأثنان هناك، بناء علي أوامر الامبراطور البيزنطي الأريوسي فالنز (Valens) وجاهدا معاً هناك ثلاث سنوات، وكسبا نفوساً كثيرة للمسيح، ثم قادهما ملاك الرب إلي وادي النطرون.

+ وكان القديس أبو مقار يتعبد في مغارة طويلة المدخل حفرها بنفسه، حتي يهرب اليها من كثرة الزوار، طلباً للصلاة والهدوء والخلوة مع الله.

+ ولما بلغ القديس التسعين من عمره، رقد بسلام في الرب، بعد جهاد طويل وشديد (سنة ٣٩٠م) شفاعته تكون معنا آمين.

+ وعند نياحته السعيدة سأله تلاميذه «كلمة منفعة» فقال لهم - ما أبكاهم. فقد خاطب كل قلب بحب وقال بحكمة عظيمة: «**أحكم يا أخي علي نفسك، قبل أن يحكموا عليك**» وهو خير درس لكل نفس تريد أن تخلص.

+ وقد رأي تلميذه ببنوده روح القديس مكاريوس الكبير والملائكة تحملها بفرح وتهليل، والشياطين تصيح من خلفها، وتحاول أن تخدعه حتي في مسيرته الأخيرة للفردوس، وكانت تقول أنه قد غلبهم، أما هو فكان يقول لهم «لم أغلبكم بعد» وحملته الملائكة إلي مكان مُعيّن في السماء، حيث قال القديس للشياطين المعاكسين: «تبارك الرب الذي خلّصني من أيديكم».

+ وهكذا رحل رجل الله الحكيم والمُتضع والمجاهد العظيم، لينضم إلي كل السوّاح والنُساك والعابدين من الرهبان والعلمانيين، بركة صلواتهم تكون معنا جميعاً، آمين.

خاتمة عامة:

+ وهكذا انتهينا من تقديم عينة مُنتقاة من رجال الله السواح والنُساك، الذين عاشوا - مع الله - في الجبال والمغاير وشقوق الأرض من أجل محبتهم للملك المسيح (عب ١١:٣٨).

+ وكرّسوا كل قلبهم ووقتهم للتسبيح والعبادة، وذاقوا عربون الفرح الأبدي، وهم بعد علي الأرض، تمهيداً للتمتع الدائم مع رب المجد في ملكوته السعيد.

+ وقد دعانا القديس بولس أن نتمثّل بسيرتهم في جهادهم من أجل خلاص أنفسهم، عن طريق حملْ صليب الرب بصبر وشكر، وفرح قلبي.

+ **وصارت ذكراهم العطرة دائمة إلي الأبد** (مز١١٢:٦) .

* الرب يقبل صلواتهم وشفاعتهم عنا، ويعطينا بركة عظيمة ونعمة وحكمة، بعمل الروح القدس فينا، وفي كل النفوس المرتبطة بكل وسائط النعمة والخلاص.

ولله الحمد والشكر، من الآن، وإلي الأبد، آمين.

✠ ✠ ✠

تم بحمد الله

الفهرست

الصفحة

الفهرست	الصفحة



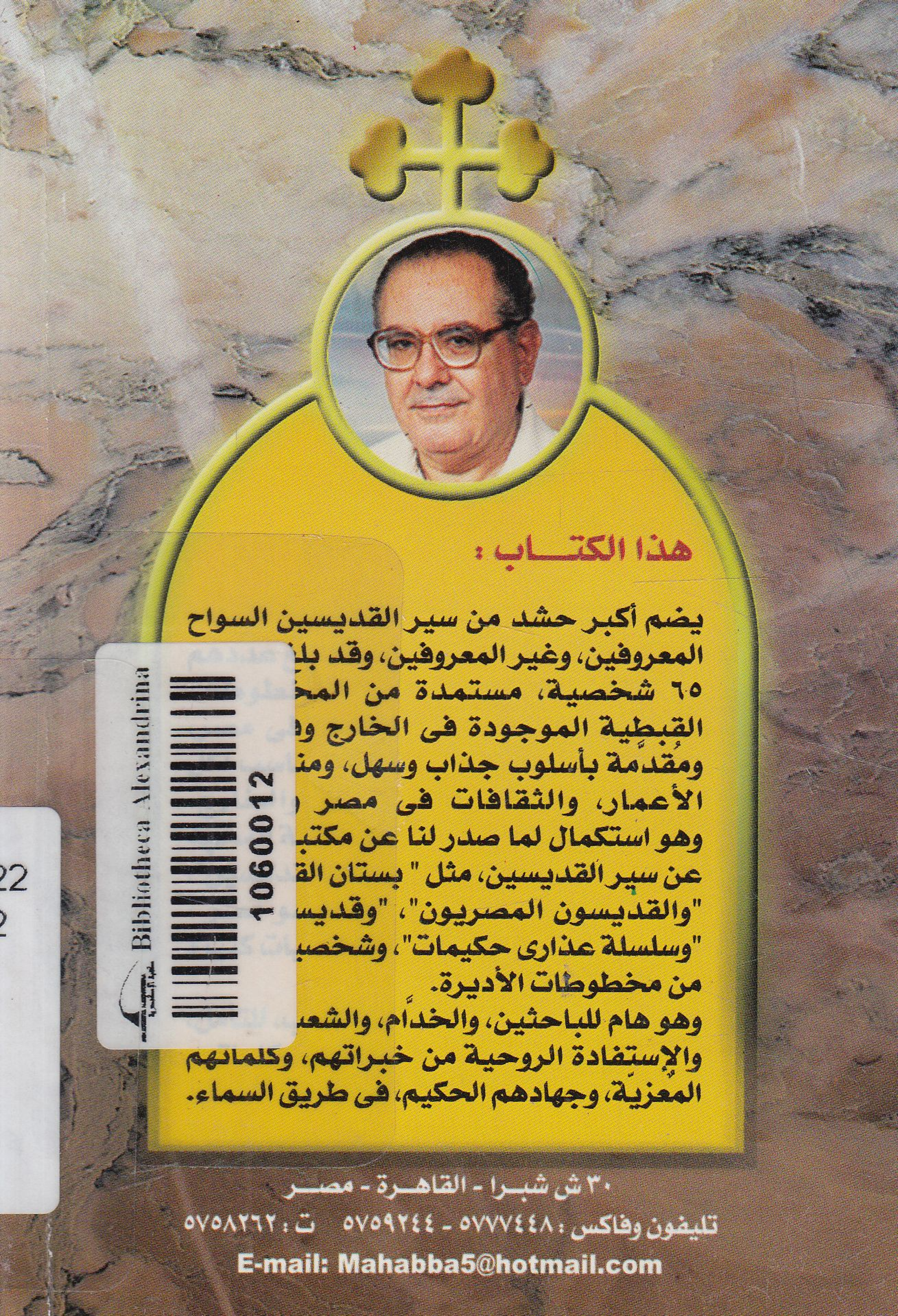
الفهرس

الصفحة

الفهرست	الصفحة

تم بحمد الله




هذا الكتـــاب :
يضم أكبر حشد من سير القديسين السواح
المعروفين، وغير المعروفين، وقد بلغ
٦٥ شخصية، مستمدة من
القبطية الموجودة فى الخارج
ومقدّمة بأسلوب جذاب وسهل،
الأعمار، والثقافات فى مصر
وهو استكمال لما صدر لنا عن
عن سير القديسين، مثل " بستان
"والقديسون المصريون"،
"وسلسلة عذارى حكيمات"،
من مخطوطات الأديرة.
وهو هام للباحثين، والخدام،
والإستفادة الروحية من خبراتهم، وكلماتهم
المعزية، وجهادهم الحكيم، فى طريق السماء.
٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر
تليفون وفاكس: ٥٧٧٧٤٤٨٠ - ٥٧٥٩٢٤٤ ت: ٥٧٥٨٢٦٢
E-mail: Mahabba5@hotmail.com
Bibliotheca Alexandrina
1060012